Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.

Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

رشدي معلوف

RECEIVED

البرلمان الأمثل

رؤيا

مع
مقدمة بقلم فؤاد حبيش
تعليق بقلم توفيق يوسف عواد

مشاكل اليوم

دار المكشوف ، بيروت

Courtesy
of the
French Press and Information
Service
626 Fifth Ave.
New York 20
New York

رشدي معلوف

البرلمان الأمثل

مقدمة بقلم فؤاد حبيش

تعليق بقلم توفيق يوسف عواد

مشاكل اليوم

دار المكشوف، بيروت

956.9
M29

طبع من هذا الكتاب ٢٠٠٠ نسخة على ورق اعتيادي

و ٣٠ نسخة على ورق « هولزفري »

مرقمة من ١ الى ٣٠

وهي خاصة بالمؤلف ،

و ١٠ نسخ على ورق « هولزفري »

مرقمة من حرف « أ » الى حرف « ي »

غير معروضة للبيع

الطبعة الاولى ، ١٩٤٣

جميع الحقوق محفوظة

مقدمـــة

NOV 24 1952

مشكلة الحكم

١

لا ادري ، قد تأتي مشكلة الحكم في المرتبة الثالثة في سلسلة مشاكل الانسان بعد مشكلة البطن ، ومشكلة القلب .

وسواء أكانت الثالثة ام الرابعة فهي قديمة ولا شك ، حاول حلها فلاسفة ومصلحون وانبياء ، فما وُفّق واحد منهم الى الحل الامثل ، لا ولا الى حلٍ استطاع ، عند التطبيق ، ان يحتفظ بالصفات التي تحلى بها وهو بعد كلام اسود على ورق ابيض .

اجل ، عالجها افلاطون في « جمهوريته » ، والفارابي في « مدينته الفاضلة » ، وكارل ماركس في « رأس ماله » . فقالوا وكتبوا كلاماً جميلاً ، جذاباً ، المعياً . ولكن كلامهم هذا لم يمنع ان عيوب الحكم التي انتقدوها ما تزال اليوم اياها بالامس مع بعض الفوارق في الاسباب والمسببات .

إلا ان الانسان المطبوع على النسيان وعلى الامل ، ما ينفك يتخيل مُثلاً عليا ، وما ينفك يسعى الى تحقيقها ، مخلصاً في سعيه ، صادقاً في ايمانه ، يهزه الشوق ويغريه الامل . ولولا الامل والشوق والايمان والاخلاص تنتاب افراداً عصراً بعد عصر وجيلاً بعد جيل ، لفقدت الحياة على هذه الارض معانيها ، ولأشتاق الناس لقاء الموت الى عالم آخر قد يتوافر فيه الخير الاسمى والكمال المطلق .

٢

وقف الشباب المثقف في لبنـان من مشكلة الحكم حتى اليوم موقفـاً سلبياً فريداً : وقف يتفرج كأن حاضر هذا الوطن ومستقبله وذراريه لا يعنيه امرها في كثير او قليل .

ولكن هذه الحال ، التي اكتفي بالاشارة اليها دون ان اتناول اسبابها وعللها بالبحث ، آخـذة بالتطور ، بل هي قـد تحولت الى نقيضها : فان السلبية الخاملة ، في الشؤون العامة ، التي تدرع بها الشباب المثقف في لبنان منذ عشرين سنة ونيف ، وعاش في برجها العاجي ، قد انقلبت ايجابية نشيطة ، واعيـة ، لا يقتصر دعاتها وانصارها عـلى توجيه الانتقاد والتحدث بوجوب الاصلاح ورسم سبل العمل المفيد ، بل يبـدو انهم يتحفزون لخوض

المعركة الانتخابية القائمة بجنان ثابت ، وايمان قوي ، وعقيدة عنيدة : انهم يهتمون بعد لامبالاة ، انهم لا يخشون ان يكونوا في المجلس الآتي قلة تضج وتعج ، ولكنها تفكر تفكيراً سليماً وجريئاً ومثمراً ، لانهم واثقون ان هذه القلة لن تلبث ان تصبح كثرة نيّرة ، فتُلقى اليها مقاليد الحكم ، فتحكم بما فيه خير البلاد ، او تسيّر الكثرة في طريق المنفعة العامة .

٣

الافراد ام الاحزاب ؟

انها قضية هامة طرحها على بساط البحث رشدي معلوف وتوفيق يوسف عواد ، فقال الاول : ان المسألة مسألة افراد . فاجابه الثاني : بل المسألة مسألة احزاب .

والواقع ان الافراد ، في الاحزاب او خارج الاحزاب، هم الذين يعملون وينتجون. والادلة على صحة هذا القول متوافرة حتى في ظل الديمقراطية .

وعلى هذا رشح رشدي معلوف نفسه لمقعد الاقليات في جبل لبنان . وكان قد مهد لهذا الترشيح بفصول اعرب فيها عن رأيه في البرلمان الامثل ، سيطالعها القارىء مجموعة في الصفحات التالية ، فيلمس الايجابية المتحمسة التي تختلج بها نفوس الشباب رفاق رشدي معلوف وابناء جيله ، كما سيطالع التعليق الذي اوحت به هذه الفصول الى توفيق يوسف عواد ، فعارض مرة ، وجارى مرات ، واضاف من الملاحظات الجريئة على ذهنية مسكينة يعيش فيها بعض المرشحين في ظل احوال شاذة يجتاز لبنان احدى مراحلها الدقيقة الحادة ، الحافلة بالمتناقضات والمفاجآت ، ما يجعل اكبر القيمة

لكلامه على ضرورة قيام حزب في لبنان يستوحي منهاجه من « تاريخ البلاد ومصلحتها » ، ومن اشياء اخرى لها اهميتها في رأيي ، كوحدة الروح والشعور والتربية والاهداف والاماني ، والنزوع الى الخير الافضل في بناء حضارة اخصب وأغنى واجمل .

ومهما يكن من امر فرشدي معلوف وتوفيق عواد شابان مثقفان ، يضطرب في نفسيهما وعي قومي متوثب ، لا يعوزهما علم ، ولا جرأة ، ولا اندفاع ، ولا شعور بالتبعة ، ولا استعداد للاضطلاع باعبائها . وان هما افتقرا الى شيء فالى ما يسمونه خبرة الشيوخ . ولكن ما قيمة مثل هذه الخبرة تحجّر العقول وتتحول في النفوس الى لامبالاة او انانية ، اذا قيست بامكانيات الجرأة والاندفاع والايمان وتحمل التبعات عند الشباب ؟

٤

لعل محاولة معلوف وعواد في البحث عن البرلمان الامثل هي الاولى من نوعها منذ قام في لبنان ندوة نيابية تُعرض تحت قبتها الاراء وتُناقش في جو متباين من الحرية والاستقلال ومتفاوت . فعسى ألا تكون الاخيرة وقد صحت عزيمة الشباب المثقف على المساهمة في ادارة دفة الحكم وتوجيه الامة توجيهاً يتفق ومصلحتها العليا ويحقق امانيها المثلى ، ويساعد على تطويرها نحو مصير محتوم لا يجدي في تبديله عنت او طفرة او عنف .

فرن الشباك (لبنان) في ٢٠ تموز ١٩٦٣ .

فؤاد مبيش

امال يجب ان تتجسد

النيابة لا تخلق الرجال *

لو نجح جميع المرشحين لاصبح لكل فرد من افراد الشعب « مندوب خاص » في المجلس . والاسماء الجديدة لا تزال تطل علينا كل صباح . فهل نستغني عن الانتخاب ونفوز جميعنا بالتزكية ؟ ... واذا تمنيت شيئاً فانني اتمنى ان يتمكن النواب المقبلون من تحقيق جميع برامجهم كما تمكن النواب السابقون ... الا انني اشترط ان يكون لهم هذه المرة برامج ...

---

* نشرت هذه الفصول في مجلة « الجديد » بعنوان « آمال يجب ان تتجسد » لمناسبة اعلان السلطات عن عزمها على اجراء انتخابات نيابية في لبنان . وقد رأت « دار المكشوف » ، وهي تجمع هذه الفصول في كتاب ، ان تجردها من اسماء الاشخاص ، اطلاقاً للمبادىء العامة والاراء الجديدة التي تشتمل عليها ، من قيود الزمان والمكان .

قد يلوح ان الامر بسيط ، وان باستطاعة اكثر المرشحين ان يقدموا للناس برامج تتضمن جل امانيهم ان لم اقل كلها ، فهل تكتفي نخبة الفكر في هذه البلاد بان تقرأ ترجمات برامج النواب الاوربيين او الاميركيين ؟ لو كان الامر كذلك لما حسبنا تقديم البرامج من مشاكلنا الاساسية ! انا اطلب من كل من يعلن برنامجاً ان يذيله بفذلكة عما حققه الى الان ضمن نطاق هذا البرنامج ... من لم يستطع ان يفعل شيئاً قبل النيابة فليس باستطاعته ان يفعل شيئاً فيها وبعدها . النيابة لا توحي العبقرية ، ولا تعلم الاخلاص ، ولا تساعد على الاختصاص . ولكنها تؤمن للفرد — الى حد ما — متابعة عمله بجو حصين .

كلنا مستعدون لمناصرة المرشح الذي بدأ عملاً قبل ان تعلن عودة الدستور ، شرط ان يكون ذلك العمل مؤسساً على العلم والاخلاص والفهم العميق لمشاكل هذه البلاد ، لان العمل الذي تنقصه هذه العناصر قد يكون نكبة رغم ما فيه من مظاهر تخدع الذين يعجزون عن الوصول الى حقائق

الامور . والامثلة كثيرة لو شئت ان اغضب بعض الذين نظّموا ، ووجهوا ، واصبح لهم اتباع ...

القضية اعمق من ذلك بكثير . واننا سنسأل كل مرشح من انت ؟ وما ثقافتك التي تخولك ان تضع البرامج في الاقتصاد والاجتماع ، والثقافة والسياسة ؟ من أي معهد تخرجت ؟ وكم سنة كرست من حياتك للتخصص ؟ ما هي ابحاثك التي يحترمها العلم في هذا الموضوع ؟ لان العالم والتفكير البشري قد ولدا قبل اليوم ببضعة الاف من السنين وموضوعك اصبح علماً له سننه وله تقاليده . واذا كنت قد عرفت تلك السنن وتلك التقاليد فهل استطعت ان « تعيش » تلك المعرفة ، ان تخرق ذلك الحجاب الكثيف بين دماغك وحياتك ؟ كثيرون يقرأون الكتب ولكن الانبياء قليلون ! واذا كنت جريئاً في مجابهة الحقيقة ، مخلصاً لضميرك ، فماذا انجزت في حقلك الى الان مما يسمح لك بالادعاء انك خير من يتولى التنمية ؟

انا ان درست النخبة التي اريد انْ اؤلف منها مجلسي فعلى هذه الاسس سأدرسها .

سأفتش في كل الحقول عن الذي يستطيع ان يكون ذلك الخلاّق البنّاء الذي يعرف اين يضع اختصاصه من التصميم الاكبر للبلاد ، ويعرف ان حقله ليس كل شيء فيها ، وان العمران يتطلب فهماً صحيحاً للبلاد كتصميم واحد ، كتمثال انسان ، ربما كان رأسه الفكر وقلبه الفن ، ولكن بقية اجزائه قد نجدها في التجارة والزراعة والصناعة ، في فتح آفاق البلاد بوجه ابنائها الشباب ، في درس مشكلة المهاجرين ومحاولة ارجاعهم ، في مشاريع الري والكهرباء وتجفيف المستنقعات ، في تجميل المدن ورفع مستوى القرى ، في العناية بالصحة وتنظيم المجتمع ، في ضبط الاخلاق (واشدد على الاخلاق) ، في انشاء محكمة جنايات خاصة لقمع الغش والكذب والاحتيال ، للضرب بيد من حديد على الرياء

والتدجيل والتضليل ، لايقاظ الانسانية في نفوس النـاس ، لالغـاء الاقطاع وتحرير العبيد البيض في لبنـان في القرن العشرين ...

افتش عن مرشح التجارة الذي « سيتابع » عمله على ازالة الفوضى التي يولدها الجشع ، ونقص الثقة ، وعدم احترام النفس في سوقنا التجارية ، لتصبح التجارة حلقة امينة بين المنتج والمستهلك لمصلحة الثلاثة على حد سواء .

افتش عن مرشح الزراعة الذي درس امكانيات البلاد الزراعية وعرف علمياً وعملياً كل ما تحتاج اليه من اصلاح فلا تتوقف مواسم البلاد وحياتها على تأخر المطر اسبوعاً ، والانهر كالشرايين تصب سدى في البحر .

الوف المشاريع الزراعية يمكن ان تتحقق في هذه البلاد التي نتوهم انها فقيرة !

افتش عن مرشح الصناعة ، الذي درس اي الصناعات يمكن ان تنشأ في هذه البلاد ، بالنسبة الى مواردها التي

تحققت والتي يمكن ان تتحقق ، وعرف ان صناعة بلادنا يجب ان تدور حول الزراعة .

افتش عن مرشح الصحافة الذي يشعر بمسؤولية هذا المنبر الخطير ، فلا ينشر الا ما يرضى عنه العلم والضمير .

افتش عن مرشح الثقافة الذي يعرف ان يكافح امية الفكر ، وامية الاخلاص ، وامية « الانسانية » قبل امية القراءة ...

افتش عن مرشح الصحة الذي تعمق في مشاكلنا الصحية وعرف اثرها في مجتمعنا الاعرج ، وتوسع فيها حتى عرف ان في البلاد مناطق لم يصل اليها اختراع الصابون بعد ...

افتش عن مرشح هذه المنطقة او تلك الذي عرف مركز منطقته من سائر اجزاء البلاد ، وادرك واجباتها نحو البلاد كما ادرك واجبات البلاد نحوها ، فلم يحاول ان يمنع ما يفيض من الماء في قضائه عن القضاء الجار كأن المتن وكسروان ، اميركا واليابان !

افتش عن مرشحي الفكر والعلم والعمران ، عن المخلصين لبلادهم ولانفسهم وللحقيقة ، واكتب عنهم ما يجب ان يعرفه جميع الناس ، واترك مرشحي آل فلان ، والثروة الفلانية ، والمصلحة الفلانية ، يعلنون برامجهم ، ويكتبون عن انفسهم . والى اللقاء في صناديق الاقتراع ...

خطاب الى الاعتزاليين

قلت ان غايتي من هذه الفصول ان ادرس الاشخاص الذين يجمعون الى التخصص العميق في موضوع من المواضيع الهامة ، فهماً عاماً لسائر المواضيع كوحدة تتألف منها حياة هذه البلاد ، وعندهم فوق ذلك ميزة الاخلاص ، وعندهم الموهبة .

ولست احصر الموهبة في شؤون الفكر والفن ، بل اقصد بها قوة الخلق في كل شيء . فقد يكون الخلق في حقل الطب والصناعة والتجارة ، وقد يكون في الصحافة والمحاماة والهندسة ، وقد يكون في التعليم والادارة والسياسة .

نحن بحاجة الى الذين يستطيعون التأثير ، ويريدون ان يؤثروا وعندهم اهداف ... فقد مللنا الذين حققوا جميع برامجهم دون ان يكون لهم برامج ودون ان يحققوا شيئاً ...

وعندما اجد من تتوافر فيهم هذه المزايا في بلادي سأعرضهم على الناس دون ان اسألهم اذا كانوا من المرشحين ام من غير المرشحين . وانني « اهدد » هذه النخبة الممتازة التي اخذت على نفسي تبعة « تعيينها » في مجلسي الامثل ، اهددها باننا نحن الذين نسعى الى معرفة حقوقنا باسم العلم والضمير الصاغ ، « سنرغمها » على دخول المجلس مهما تحاول اعتزال شؤون السياسة .

انا يدهشني ان اسمع من رجل ذي اتصال بالمعرفة لا يتوافر الا للقليلين وفي بعض العصور ، وفهم نادر للمشاكل الاساسية في البلاد ، وشعور بالمسؤولية لا يحدّ ، واخلاق كأنبل ما تكون الاخلاق ، اقول يدهشني ان اسمع منه انه ان فكر يوماً بالنيابة فذلك اليوم لن يكون قبل عشر سنوات على الاقل ! لمن تراه يفسح المجال من الآن الى عشر سنوات ؟

قلت مرة لصديق من اولئك « الاعتزاليين » : وانت ما يمنعك من خوض المعركة ؟ فابتسم وقال : « كان في

جمهورية فنزويلا رئيس اسمه غوميس ، انشأ في جملة ما انشأ من مشاريع الخير ، مستشفى للمجانين . وقرر يوماً ان يزوره فاختار مدير المستشفى خمسة من « عقلاء المجانين » وعلمهم ان يهتفوا بحياة الرئيس عند وصوله ، فلما اطل تعالت الهتافات الا من واحد بينهم ، فتقدم منه الرئيس وعاتبه بلطف ، فقال : عفوك يا سيدي ، انا لست من المجانين ، انا الحارس ... »

لست انكر اهمية ما فعله وما يستطيع ان يفعله ذلك الشاب كأستاذ للفلسفة في معهد من معاهد البلاد ، ولكنني ارى اننا في محنة اخطر من ان تسمح لذوي الوزن ان ينصرفوا بكليتهم الى شؤون الفكر البحت .

وفي فصل حُذف عرضت صورتين لشابين يمتازان بامور نحن اشد ما نكون حاجة اليها ، وقلت انهما من زعماء الفكر الصحيح ، لان كلا منهما قد استطاع ان يثبت مقدرته على الخلق والتأثير في حقل ، وعلى التنظيم في جميع الحقول ، مزوداً بالاخلاص والموهبة ، والوعي للحضارة منذ نشأتها الى

ان احتضنتها باريس .

وسأضيف اليوم الى مجلسي زعيماً آخر من اولئك الزعماء ، وسأتابع « التعيين » حتى يتم عدد مجلسي . وقد اراعي صدفة امر المناطق و « حقوق » الطوائف وقد لا اراعيها . القضية عندي قضية كفاءة ، قضية حياة بلاد ، قضية مسؤولية امام التاريخ ، وامام الله ! وسأترك للفكر الصحيح ان يوازن بين مجلسي ومجلس الناس ! ... اقول هذا وانا لا اشك في مقدرة الناس على انتخاب افضل من يمثلهم اذا توافر لهم التوجيه الصحيح . ولكن المؤسف ان اكثر التوجيه الانتخابي كان الى الآن في ايدي بعض المرشحين المزمنين التقليديين ، الذين من مصلحتهم القريبة ان لا يكون ثمة توجيه في درس المشاكل ولا في تحليل الاشخاص . وغالوا في تضليلنا حتى رضينا ان ننتخب على اساس القوائم المرتكزة على تكتل الافراد لا على وحدة المبادىء ... وعلى فوز الناس بعضهم على حساب بعض ، وعلى حسابنا اجمعين ... ونعود

فنضحك من جحا كيف ربط مصير الثور بمصير الهر ، فلم يبعهما الا معاً ، الثور بدينار والهر بمئة دينار !

لنرجع الى ضمائرنا في فترة اخلاص ، ولنسأل انفسنا : لماذا انتخبنا فلاناً او فلاناً او فلاناً منذ عشرين سنة الى اليوم ؟ ما هي المشاكل التي كنا نجابهها ونترجى حلها ، ولأي الاسباب حسبنا ان فلاناً او فلاناً سينجح دون سواه في ذلك الحل ؟ أأبلغُ من الصراحة حدَ التسمية ؟ لا ، سأعفو هذه المرة ، واترك الامر للناس يستعرضون فشلهم داخل انفسهم ، ويضعون النقط على الحروف . ولكنني اتمنى ان يخرجوا من هذا الاستعراض بقرار ايجابي يعوض عن كل ما سبق .

يجب ان نبني تفكيرنا على اليقين بان لنا الحق ان نعيش وان نرتقي ، ان ننعم بخيراتنا وان نتمتع بالحضارة التي اثبتنا اننا نستطيع المساهمة فيها .

لو سألت عالماً من المع علماء بلادي مثلاً : لماذا ابى مراراً ان يساهم في ادارة الشؤون العامة عندنا ، لما استطاع

ان يقنعني ، على كثرة الاعذار التي تقنع احياناً ، وعلى وجاهتها ...

كيف يقنعني وانا اعرف ان من النعم ومن سخاء الصدف على هذه البلاد ان يكون فيها من يعمل للعلم من اجل العلم ، وللانسانية من اجل الانسانية ، لم يمنعه تخصصه الكامل عن استيعاب الحضارة وربطها باضي هذه البلاد ومستقبلها ، ولا حالت رصانة العلم دون التفاتة منه الى مشاكل هذه البلاد وآلامها بعين الحب العميق . لا يهاود في سبيل الحق ، ولا يساوم ، ولا يعمل الا بارشاد الفكر الاصيل ووحي القلب النبيل ...

اقول انها لمن النعم ان يكون في البلاد رجل من هذا النوع ، رجل لا حاجة بنا الى استطلاع برنامجه لان شخصيته ضمانة كافية ، وجوده برنامج فكيف يجوز ان لا نستفيد من تلك النعمة الى ابعد حد ؟

ولست اخال البلاد ، وقد دبت اليها اليقظة ، تقبل بعد

اليوم عذراً لمثل هذه النخبة الصالحة من « الحراس » ان تنزل منبرها العام ، الا اذا « زاد » العدد عما تحتاج اليه ادارة شؤونها من مصلحين ...

بين النخبة والكثرة

وجهت في الفصل السابق نداء الى بعض « الاعتزاليين » الذين ينظرون الى شؤون التشريع والتنفيذ في البلاد نظرة « الرصين » الى الشاشة البيضاء ! كأن الامر لا يتعلق به مصيرهم ومصير ابنائهم وابناء ابنائهم ، وكأن النيابة ، وما يرتبط بها من مصالح كبرى تؤمن او تهدد حياة البلاد ، هي مسألة عادة واصطلاح ، وقد اصطلحنا وتعودنا ان يكون في هذه الكراسي بعض المواطنين الذين عرفوا ان يستغلوا جهل الشعب في بدء حياتنا البرلمانية ، يوم كان الانتخاب عندنا لعبة قائمة بنفسها ، ننتخب من اجل الانتخاب لا من اجل النتائج . وبات المجلس لهم « سجالا » ، يغيبون ويرجعون ثم يغيبون ويرجعون ، منذ عشرين سنة الى اليوم .

واذا جئنا نحث المخلصين ذوي الثقافة على المساهمة ، ان

لم اقل على الاستئثار ، بتسيير هذه الدفة ، يجيبون ان اختصاصهم غير السياسة ، كأن اكثر الذين عرفناهم في تلك المقاعد قد تخرجوا من دوائر العلوم السياسية وادارة الدول في السوربون واكسفورد وهارفرد ! اقول هذا ، وانا اهمس في اذن القارىء ان بين نوابنا من كان يمسك جدول الاعمال مقلوباً في المجلس ... اما المتعلمون غير المثقفين من ذوي الشهادات « الطويلة » في البلاد ، وزمرة التجار بـ « صحة » الناس و « مشاكلهم » و « اعتقاداتهم » ، فلي معهم حديث غير هذا الحديث سيضطرني ان اعود الى ذكر الاميين لاظهر ، كما قلت مرة ، ان امية القراءة اهون من امية الفكر وامية الاخلاص وامية الانسانية .

انا لا اجهل ان القليلين من المرشحين التقليديين الذين سيقرأون مباحثي ومباحث غيري في هذا الموضوع يستطيعون ان يقدروا اهمية مثل هذه اليقظة ونتائجها ، وان الكثيرين منهم سيقولون فيما بينهم : ليكتب الشباب عنا وعن انفسهم

ما شاؤوا ، فالكتابة شيء واساليب الوصول الى المجلس شيء آخر ...

ورأيهم قد يكون صحيحاً اذا اقتصر عملنا ، ونحن كل شيء في البلاد ، على نشر المقالات في بعض الصحف من آن الى آن . ذلك لان تخصصهم في « الوصول » ساعد على التضليل حتى اصبح لهم العدد الاكبر ، ولا اقول الافضل ، من الناخبين . اما نحن البسطاء ، الذين لا نعرف ان نجمع التذاكر من « عبيدنا » قبل الانتخاب ، ولا ان ندس السماسرة يحاربون الضمائر في الخفاء ، ولا ان نجود بالابتسامات والولائم مرة كل اربع سنوات ، ولا ان نتصرف بالذين يحبوننا فنترشح ثم ننسحب في آخر لحظة لـ « صديق » غني ، ولا ان نتعاون مع الذين يجمعنا بهم عدم امكانية التعاون ، ولا ان نوزع « الزنود المفتولة » تهدد على مفارق الطرقات ، ولا ان نتملص من الوعود التي زرعناها على الجانبين ، اقول : اما نحن البسطاء فليس لنا الا نخبة قليلة ، ولكن شتان بين

« الكثرة » و « النخبة » . لهم عدد اكبر ولنا عدد افضل ، والفرق عظيم !

الكثرة تفوز في الانتخابات الى وقت ، وقد مضى الوقت الكافي . اما النخبة فانتصارها انتصار الحق الابدي ، والحق لا يموت . نجاح الكثرة يدوم بدوام الجهل ، اما النخبة فنجاحها يكون بازدياد المعرفة ، وسيبقى النضال بين النخبة والكثرة الى ان تصبح النخبة كثرة في هذه البلاد ، يومئذ لا يفوز في الانتخابات الا الجدير ولو تخبأ عن الناس .

انا اعرف ان النخبة في هذه البلاد لا يزال اكثرها نكرة بالنسبة الى المرشحين « المشهورين » ! ولكن الشهرة تقاس بقيمة المعجبين ، واجهل الناس من اشتهر بين الجهال ! اقول لهم : « ساعدوا على تنوير الكثرة ، ثم باهوا بشهرتكم عن حق وجدارة ، ان بقيت لكم تلك الكثرة النيرة !... »

سيتركوننا نكتب الى ما شاء الله ، لانهم يعتقدون ان

كثرتهم ان تسمع صوتنا ، وان آذانها ليست للسمع !

ولكن في الامر اكثر مما يظنون . وسيأتي يوم ، ولن يكون بعيداً ، تصبح الامور فيه كما يجب ان تكون ، فتغيب — من غير شر — الوجوه التي عرفناها ، وتطل الوجوه التي احببناها ، وآمنا بمواهبها واخلاصها وثقافتها وجرأتها ، وتنشأ في البلاد المشاريع التي طالما تمنينا ان تنشأ ، ونقول للعالم من جديد : عدنا الى المساهمة في العمارة التي تبنيها ، عمارة الحضارة ، بعد ان قمنا بتجربة فاشلة لو نجحت لاستطعنا ان نضيف مبدأ الى علم السياسة يتحدى افلاطون وسلسلة من فكروا في الموضوع قبله وبعده ، ويقول : يمكن ان تزدهر بلاد اكثر شؤونها ليست بايدي اولي الفكر والعلم والضمير !

نريد الموهوبين المخلصين الجريئين ... قلتها وسأقولها عشرات المرات . واشدد على الموهبة وهي كما قلت قوة الخلق ، لان من يستطيع ان يخلق شيئاً يستطيع ان يغير ،

ونحن بحاجة الى التغيير الحكيم .

لنفتش عن الموهوبين على تنوع حقولهم ، وعلى اختلاف درجاتهم ، من الذي يخدم « الانسان » باختراع او باكتشاف ، الى الذي يخدم « الانسانية » بقصيدة أو بفكرة ، الى الذي يستطيع ان يكون « انساناً » وتلك اسمى درجات الخلق .

اعطوني مجلساً مؤلفاً من ستمئة وثلاثين نائباً عتيقاً ، وفيه « انسان » واحد ، وانا اكفل لكم ضمير ذلك المجلس وكرامته .

لسنا فقراء بالرجال الى الحد الذي يتوهمه بعض الناس ، فنخبتنا لا تقل قيمة عن ارقى نخبة في ارقى بلاد . ولكن الفرق بينهم وبيننا انهم يعرفون نخبتهم ونحن لا نعرفها . يشعرون بالحاجة اليها ونحن لا نشعر . نخبتهم اكثرها مجاهدون ونخبتنا اكثرها نساك او مرغمون على التنسك .

اين لي بمجلس فيه رجل واحد غني في الموهبة والثقافة

والايمان ، جبار في التصميم والتنظيم والتنفيذ ، متخصص في البحث عن ثقافتنا ، وبعث امجادنا ، وحفظ حقوقنا تحت الشمس ؟

ستعرف هذه البلاد ، يوم يزول تأثير الكثرة ، وتسيطر النخبة ، ما صُنع من أجلها في معرض نيويورك ، وستصدر الكتب والشروحات يوماً عن ذلك التصميم العبقري الذي فرض على العالم كله احترام بلادنا والاعتراف بانها مهد الحضارة ومربيتها في عصور النور الاولى . ويكفي ان نقرأ ما قاله اذ ذاك المفكرون ، وما كتبته الصحف العالمية ، والرصينة من صحفنا ، لنحني رؤوسنا جميعاً امام ذلك الجبار .

ضعوا هذا الرجل على رأس لجنة للخارجية في المجلس ، وانا اضمن لكم حقوقكم على كل اجنبي ، وحقوق مهاجريكم على وجه الارض . . .

من مثل هذه النخبة سأتابع تعيين مجلسي .

نريد المصلحين لا ذوي المصلحة

قضيتي تتلخص في ان شؤون هذه البلاد يجب ان تنتقل الى الوضع الطبيعي ، فيأتي المصلحون الى مراكز التشريع والتنفيذ ، ويعود « المتبرعون بحمل المسؤوليات » مزودين بالحمد ، ولا اقول بالشكر ، الى حيث كانوا قبل الحياة البرلمانية يستعرض كلٌ منهم ، في خلوة من ضميره ، ما اتمه من « اصلاح » في الحقل الذي تولاه ...

أليس من الغريب ان « نتجالد » على التمويه والتقصير الى هذا الحد ؟ ويتهمونني بأن مقاييسي صعبة ، وان الشروط التي « اعين » مجلسي على اساسها يندر ان تتوافر في انسان ، وانني ظلمت الكثيرين من الذين جلسوا على هذه المقاعد من قبل . ولو عرفوا باي اخلاص ، واي شوق افتش عن واقع يكذبني ، لخففوا من حدة تلك التهمة ؛ ولكن الواقع

ليس في مصلحتهم ، لسوء حظهم وحظ البلاد ! فالاصلاح لا يمكن ان يختفي ، والناس ابرّ بالنعمة مما يظن المغرورون الذين يحسبون ان الشعب ما انصفهم على حسناتهم اليه بعد ! وهو لو فكر بـ « انصافهم » وانصاف نفسه ، لكان وكانوا في مأمن من زمن بعيد .

نحن نفتش عن الحسنات لنمجدها . ولو كان لهؤلاء الذين « ندعوهم » الى بيوتهم حسنات لتمسكنا بهم تمسكهم بالكراسي ! ولكن البلاد تسير في جميع الحقول من سيء الى اسوأ ، واشباح الفقر والجهل والفساد تهددنا من كل صوب ، فأين الاصلاح ؟

وتطل بين الفترة والفترة حركات اصلاح عميقة تكاد تبعث الامل ، فتصطدم بأمي لا يفهم الاصلاح ولا يريد ان يفهم !

ونقول للناس باختصار ووضوح : « ضعوا هذا المصلح مكان ذلك الامي ! فالكراسي التي تتوقف عليها حياة

الشعب خلقت للمصلحين لا لذوي المصالح ! » واذا اصر على انه من المصلحين « فلموه » ان الاصلاح في بلاد مثل هذه البلاد لا يجوز ان يقتصر على شق الطرقات ، وتنويع الضرائب ، وسن الشرائع للمأمورين ، وتوظيف المقربين والاعوان !...

الاصلاح يجب ان يشمل جميع شؤون البلاد وجميع ابنائها ، ولا أستثني الموظفين الذين ، رغم تعاقب « المصلحين » عليهم ، لا يزال اكثرهم مغبوناً في حقوقه مقصراً في مسؤولياته .

الاصلاح لا يمكن ان يصدر الا عن مصلح حقيقي يكون خالقاً لمشروع اصلاحه ، لان الضمانة الوحيدة للتنفيذ هي وجود الرجل من وراء قصده . ولو لم يكن ذلك ضرورياً لاستغنينا بالكتب عن الرجال ، واسسنا مكتبة بدل مجلس النواب !

ولكن الكتب ، وترجمة البرامج ، و « تقليد »

المفكرين ، لا تغني عن الانسان الحي ، عن الاخلاص الذي لا يحد ، والمعرفة التي تعرف حدودها وحدود جهلها ، وقوة النفس التي تخلق المشاريع من اجل التنفيذ لا من اجل الحفظ في سجل « المذكرات » وفي ملفات المجلس !

لذلك اجد صعوبة في التفتيش عن اعضاء « مجلسي » بينما ارى الناخبين ، والمرشحين المزمنين و « لاعبي » القوائم ، لا يصطدمون بتلك الصعوبة ، فأيّنا المخطىء في مقاييسه يا ترى ؟

انا احاسب النواب على فشلهم بايجاد اي اصلاح طوال ربع قرن ، في بلاد كل ما فيها يحتاج الى الاصلاح ، وأجد الناس « يعملون » من جديد لاولئك الفاشلين ، فهل أتعلم « التسامح » من الناس ام اعلمهم « المحاسبة » ؟

أي شعب يرضى بمثل الفوضى التي نسكت عنها نحن ؟ فوضى في كل شيء : تعليمنا فوضى ، تفكيرنا فوضى ، اخلاقنا فوضى ، فوضى في المهن الحرة وفي الوظائف ، فوضى

في الزراعة والصناعة والتجارة ، فوضى تهددنا بالفقر وبالموت يوم تنتهي الظروف الشاذة ، وتزول النكبات التي كثر مستثمروها عندنا على حساب المساكين !

أين مشاريع الاقتصاد التي اعددناها لتؤمن للناس الطمأنينة المادية وتفتح الآفاق بوجه الشباب ، لتعز نفوسهم ، وتقترب ارضهم من قلوبهم فلا يتكالبوا على الوظيفة ولا يفكروا بالهجرة ؟

يقولون : « اي المشاريع تعني ؟ » انا لست اقتصادياً لأضع المشاريع بتفاصيلها ، ولكنني اعرف ان مجال الاصلاح في حقل الاقتصاد واسع جداً ، وأعرف ايضاً ان في البلاد عالماً اقتصادياً تستفيد من علمه واخلاصه جميع الاقطار المجاورة وتؤسس الكثير من مشاريعها على ما يتصل بها من مؤلفاته ، أما نحن وعندنا شخصيته ومؤلفاته فلم نشعر مرة بالحاجة اليه ! لست ادعو الى مجلس كله اختصاصيون وعلماء ، ولكني اريد مجلساً كله يستطيع تقدير العلم والاختصاص على الاقل ، لاننا

في دور تكوين .

انا اعرف ان ذلك العالم سيرفض ، ككل عالم ، ان يترك مكتبه ليشترك عملياً في التشريع الاقتصادي للبلاد ، ولكنني اعيد القول ان عذراً من هذا النوع يقبل لعالم يعيش في بلاد قد استقرت جميع شؤونها ، واصبحت تسير طبيعية بقوة الاستمرار ، فلا حاجة بها الى التشويش على اختصاص علمائها ؛ اما ان يقبل في بلاد لا يزال تنظيمها في دور التكوين فامر لا يجوز ...

القضية اخطر وارصن مما يتوهم البعض ، وانني اؤكد اننا ان لم نفتش جميعنا عن الذين يستطيعون الاصلاح العميق ، فسنبقى الى ما شاء الله كما نحن ، واعوذ بالله من بقائنا كما نحن !

الانصراف التام الى العلم ، على اهميته ، لا يزال من الكماليات في هذه البلاد . ونحن بحاجة الى الضروريات . يجب ان نبدأ بالاهم ، وان نكون عمليين في تفكيرنا . من

الموهبة ان نكون عمليين . تجميل المدن بعد انعاش القرى ، واخيرا قبل الفاكهة .

نحن نريد ونتمنى ان ينصرف علماؤنا الى دراساتهم واختباراتهم كما يفعل علماء كمبريدج ، وخبراء روكفلر وباستور ، شرط ان تكون ادارة البلاد قد بلغت عندنا من الكمال والاستقرار ما بلغته الادارة في تلك البلدان !

أما ان نلبس « السموكن » قبل ان نخلع « القبقاب » فأمر مضحك ...

البلاد بين الهواة والمحترفين

لا ادري متى ينتخب الناس مجلسهم ، اما انا فاتابع التفتيش عن اعضاء « مجلسي » ، باحثاً عن المزايا التي اريدها ان تتوافر في كل ناخب يدخله ، عن الاخلاص والعلم والموهبة ، ولست اتخلى عن واحدة منها ، وان تكن اكثرية البلاد لا تزال مستعدة للتخلي عن بعضها ، وعن كلها في اكثر الاحيان ...

ومع يقيني ان من الصعب اجتماعها في عدد كبير من الناس عندنا ، فلست يائساً من اكمال « مجلسي الامثل » . كثيرة هي الامور الصعبة ، ولكن المستحيل قليل ... وعندي ايمان بان البلاد ستنهض يوماً على هذه الصرخة التي سنواصلها الى ان تنبض الحياة في كل قلب وتدب اليقظة الى كل عين ...

ليس من الضروري ان نكون عباقرة لكي نفهم

شذوذ هذا الوضع ! فكل مثقف في البلاد وكل انسان عنده « نعمة » الفهم والاحساس ، وكل صاحب مصلحة ، كائنة ما كانت هـذه المصلحة ، يشعر معي بان الوضع الذي نحن فيه لا يجوز ان يدوم !...

انا لا اوجـه اية اهانة الى اولئك الذين ظنوا — واحياناً عن نيـة طيبة — انهم « ضحوا » من اجل البـلاد وانهم « خدموها » ! ولكني اطلب منهم بكل « احترام » باسم العلم والاخلاص ، وباسم البـلاد وحياتها ومستقبلها ، وباسم الآمال الصامتـة المتحفزة في كل قلب ، اطلب منهم ان « يتنازلوا » عن حقوق غيرهم ، وان « يتفضلوا » بالاعتراف بان البـلاد ليست لهم وحدهم ، وانهم ليسوا افضل من يستطيع تمثيلها او تسييرها ، وانهم اثبتوا بالواقع الفاشل ما اثبتناه نحن بالمنطق ، وبرهنوا لنا وللعالم ما كنا نتمنى ان لا يبرهنوه حتى لانفسهم !... واسألهم ، دون تهديد ، ان يأخذوا علماً بان الثقافة والموهبة والاخلاص سيكون لها دور

في لبنان كالذي لها في كل بلاد الناس ...

وقد نكون احوج الى الاخلاص منا الى الثقافة والموهبة . لا ثقافة تغني ، ولا موهبة تبني ، بغير الاخلاص . الاخلاص قبل كل شيء ... الاخلاص قبل ان نحكم ، نحن ، بالاعدام على هذه البلاد التي نحبها ، ونعرف كيف نحبها اكثر مما يظن « عشاقها » الكثيرون !

اقول ذلك وفي نفسي مرارة يحسها المخلصون الذين يشعرون مئة مرة كل يوم بان نفوسهم غريبة بين النفوس السوداء ، وتربيتهم عبء على جو بلا تربية ، يلتف الناس فيه حول السيئات ، ولا « يغتفرون » لامرىء حسنة !... ونعجب بعد ذلك كيف يتردد المخلصون في دخول المجلس !

الاخلاص لا يترك في القلوب الا المحبة والخير والصدق ؛ الاخلاص لا يريد الا النور ؛ الاخلاص كل شيء ...

وانني اشدد على الاخلاص لان ازمته تتفاقم في هذه البلاد الى حد لا يطاق .

أي مظهر ادل على الازمة « الاخلاصية » من شعور البلاد بانها فقيرة بالمخلصين عن « تبرع » ، بالنزيهين « الهواة » ، فتلجأ الى محترفي النزاهة ، الى الذين يعيشون من حياة ضمائرهم ، فيكون في وقت واحد : رئيس جمهوريتها ، ورئيس حكومتها ، وبعض وزرائها ، وبعض مديريها ، ومحافظ عاصمتها ، قضاة !

ونعود بعد هذه الظاهرة التي لا يقدرها الا العميق ، نعود الى انتخاب اولئك الذين نفّروا الصالحين منهم ، وحقروا السياسة في أعينهم ، وألجأوا البلاد الى قضاتها ، بعد ان شعّبوا لهم الطريق ، واحتكروا الشؤون العامة التي لا يجوز ان تحتكر ، وتصرفوا فيها بوحي بعيد عن وحي الضمير ، واوجدوا في البلاد « مهنة » كسائر المهن ، يتخصص المرء في اساليب « الوصول » اليها ، واستثمارها ، ولا « يتخصص » في شيء آخر ، فيصبح نائباً او « نايبجي » اذا صح التعبير ، ويكون كل عمله مقتصراً على التمهيد « للرجوع » في الدورة التالية ! ... وقد يقتضي ذلك « الوصول » او ذلك

« الرجوع » تعديلاً او تبديلاً ، وهناك يكون « الاصلاح ».

ومن اعد العدة « كاملة » فهو « المحنك » ، يورثها لابنه أو لابن اخته او لابن اخيه ... ارستقراطية النيابة في الزمن الاخير ...

ولعل هذه « المهنة » هي الوحيدة في البلاد التي لا « تذكر » معها المسؤولية ، ولا تحتاج في نظرهم الى شهادة ، ولا الى معرفة خاصة او اختبار ، الا باساليب « الوصول » . فالسائق مثلا لا يجوز له ان يقود السيارة قبل ان يجتاز اصعب الامتحانات ، لانه مسؤول عن حياة ، والناطور لا يسلم « دفتر » المنطرة الا اذا اثبت انه يعرف « حدود » الارزاق و « اصحابها » ، لان كل « افتراء » سيطلب منه ! وحتى الخادمة لا تقبلها سيدة المنزل الا اذا اتت بما يشهد على « امانتها » و « كفاءتها » وفهمها لمصالح « البيوت » ، لانها ستؤتمن على بيت ...

اما النائب الذي نأتمنه على البلاد كلها ، بكل ما فيها :

على مصالحنا ومستقبل اولادنا ، وعلى اسمنا امام التاريخ وامام رب التاريخ ، فلا نسأله عن شي ! ويكفي ان « يبشرنا » بانه قرر « اخيراً » ان يخوض المعركة ، لكي نطمئن الى حياة البلاد ومقدراتها ، ولكي نضع قوانا وامكانياتنا تحت تصرفه ، ورهن اشارة منه ، كأننا « اشتقنا » الى « خيراته » على البلاد ، ومشاريعه « العمرانية » الجبارة ، و « القدوة » التي رفع بها رأسنا امام العالم !

لعن الله الذاكرة ، فهي بطبيعتها لا تحفظ الا الحسنات ، لذلك لم تحفظ شيئاً . ولكننا بعد اليوم « سنعلمها » ان تتذكر كل شيء ، حتى السيئات ، لعلها تستطيع ان تتجنب المسيئين الذين حرموا حتى من امكانية الوعد ...

قلوبنا ، نحن الناخبين ، طيبة اكثر من اللازم ، والتساهل عندنا قد بلغ حد البله ، والتضحية بمصالحنا ، ومصالح الاجيال المقبلة ، من اجل « راحة » بعض المرشحين ، جريمة ، ان اغتفرناها نحن لانفسنا ، فلن يغتفرها لنا ابناؤنا ،

واحفادنا ، وموكب الانسانية السائر دائماً الى الامام ! وقوفنا تأخر بالنسبة الى الحضارة المتقدمة ، فكيف يكون تقهقرنا ؟ سباق في مضمار الانحطاط !

ونعود الى النخبة « الاعتزالية » فنقول لها : لقد آمنا بمواهبك وثقافتك ، ولكننا بدأنا نشك في اخلاصك ! كيف يثبت الطبيب اخلاصه وهو « حيادي » امام عليل يموت ؟ نحن نتمنى ان نعتزل معك هذا الجو الفاسد ، ولكننا ما سمعنا عن ام تترك اولادها لان تربيتهم ناقصة ! واذا تهرب المصلحون من الفساد ، فمن يصلح الفساد ؟ الفساد لا يصلح نفسه ، والتهرب منه تبشير به واقرار بسلطانه !

انا اؤثر — اذا خُيرت بين شرين — فئة تعمل ولا تفهم ، على فئة تفهم ولا تعمل ! لاننا احوج الى التحقيق منا الى المعرفة المشلولة ... ولكنني اريد مجلساً يفهم ويعمل ، لعلنا نعوض به على البلاد وعلى التاريخ من اولئك الذين لا يعملون ولا يفهمون .

وكذلك اؤثر الجبان عن « جبانـة » على الجبان عن « جرأة » ، والذي يجهل الحقيقة على الذي يتجاهلها ، ويتهرب منها بحجة التفتيش عنها ، لان الجبان عن جبانـة مخلص ، وجاهل الحقيقة مخلص ، اما الثاني فدجال ... واني اعجب من انانية بعض « الاعتزاليين » ، الذين سبقوا الناس ميلاً ويأبون ان يشدوهم صوبهم قبل ان يسبقوهم ميلين ، وهم يعرفون ان بين الميل والميل قد يكون موت الناس ، ثم يتبجحون بالانسانية !

انا ادعو الى اليقظـة التامة : الى يقظة الضمائر عنـد المرشحين ، ويقظة العقول عند الناخبين ، ويقظـة الجرأة والشعور بالمسؤولية عند « الاعتزاليين » .

القضية ليست رواية ولا تجربة في مختبر ، القضية قضية موتنا او حياتنا ! لاننا اذا كنا نعيش بعيدين الف سنة عن القرن العشرين ، فنحن بعيدون الف سنة عن حياة الانسان ، عريقون عشرة اجيال في الموت .

بالايمان كل شيء ممكن

« تعجبني » فئة في البلاد لا تؤمن بشيء ! باطل عندها كل اصلاح ... تفهم سوء الوضع و « تتململ » منه ، ولكنها يائسة من تعديله او تبديله ! « تهنئنا » على مباحثنا ، ومساعينا ، و « تنصحنا » بان لا نحاول المستحيل ! ... كأنها « حاولت » قبلنا شيئاً وكانت فاشلة ! والتاريخ بيننا وبينها يشهد انها ما سجلت على صفحاته او بين سطوره اية محاولة فيها اخلاص جريء ، وفهم عميق ، وموهبة بنّاءة ...

« سلطانها » علينا في التفكير تستمده ، لا من « الدالة » التي لها ، بل من بضع حلقات من العمر « سبقتنا » بها الى الوجود على الارض ... وهي تجهل ان النضوج شيء « اكثر » من « تراكم » الايام فوق آراء « الطفولة » ... فالايام لا تعلّم الا من « اراد » ان يتعلم

منها ، وعرف كيف يتعلم ! لا من كان شعاره : علمني اذا كنت تستطيع ! علينا ان « نعيش » اولا ، ان نتألم ونغتبط ، ان نفكر ، ونزيد ، ونحب ، لنكون « تلاميذ » الايام ...

كيف يتحدثون بلسان الايام ، ويستمدون سلطة من حكمة الايام ، وهم ما اخذوا من الايام الا « اجترار » الذاكرة ، والاستسلام ، والتململ السلبي من حالات لو عاشها الحجر « لفكر » في تغييرها ! اين دروس الايام ، و « اذكاهم » و « اوعاهم » من يفهم بعض الواقع ! وليس بينهم « عبقري » يعرف ان المستقبل « ايضاً » له ولاولاده واحفاده ، ويعرف ان باستطاعته ، بصفته الانسان العاقل ، المريد ، المحب ، الباني الاول والاخير للمستقبل ، ان يقدم او يؤخر فيه !

كيف يعلموننا بلسان الايام ان نيأس من ملكوت الحق والتاريخ كله ما كان يوماً « ليكفر » بالحق كما يزعم اولئك

« المعلمون » ؟ هم يائسون من الاصلاح ، ويخافون اعداء الاصلاح ، وما عرفت الاصلاح عدواً في التاريخ الا الجهل ! والجهل دواؤه المعرفة ، فكيف ييأسون ان كانوا يعرفون ؟

كيف يتحدثون بلسان التاريخ وقد كذبهم في كل مصلح وفي كل نبي ؟ ما ضاعت كلمة حق في التاريخ !

واقع يجب ان يعرفه جميع الناس ! ... وان كانت كلمتنا حقاً ، فلن تضيع ايضاً ... واننا سنقولها ، وسنحمل تبعاتها ، الى ان يعرفها جميع من في هذه البلاد ، فيكون الاصلاح !

ليست القضية قضية اكثرية أو اقلية ، بل قضية فكر صحيح ، قضية هذا الكائن العجيب ، هذا العقل « الآله » الصغير ، الذي به « يكون » كل شيء ، وبغيره لا يكون شيء ... للفكر وحده الحكم في النهاية ... قول الفلسفة ، وكل فكر صحيح سيفرض نفسه بالرغم من جميع العقبات ، بما فيها « الوجوه العتاق » ، شرط ان يوجد الايمان ...

انا لا اسيء الى تلك « الفئة » وهي من ابناء بلادي ، ومنها اتراب اعمامي واخوالي ، ولكنني احملها مسؤولية الحالة التي نحن فيها اليوم ... « فاليأس الجاهل » ، وبالاصح « الجهل اليائس » الذي استولى عليها ، وزرعته فينا ، ساعد على استمرار الوضع الذي لا يقبله الا الجهل ، ولا عدو له الا المعرفة !

احبوا بلادكم وآمنوا بانكم عرفتم « امراضها » ، و « علة » تلك الامراض ، وعرفتم « علاجها » ، وبشروا ، عن ايمان ، بتلك المحبة وتلك المعرفة ، فيكون لكم ما تشاؤون ، لان المستقبل ابن الايمان !

تشجعوا بواقع التاريخ الذي ما طمس حقيقة الى اليوم رغم ما « سقى » من سم ، وما « صلب » ، وما اضطهد من افراد « كانوا » التاريخ فيما بعد ...

لست احدث عن حالة المريخ ، ولا عن سكان الكهوف قبل « اختراع » الانسان ، بل عن الناس الموجودين اليوم

على هذه البقعة التي نعرفها من الارض ، وعن انتخابات نيابية ستجري بعد اسابيع معدودة لينبثق عنها مجلس يتعهد شؤوننا نحن ، نحن الذين نكتب ونقرأ وننتخب ! ... مجلس « وجودنا » علة « وجوده » ، لانه منا ولنا ، وباستطاعتنا نحن ان « نجعله » كما نريد : من الذين يؤمنون « مصالحنا » اذا شئنا ، او من الذين يؤمنون « مصالحهم » اذا شئنا ايضاً ...

الامر لا غموض فيه ، كله متوقف علينا ، على الورقة التي نضعها في الصندوق بعد تفكير « صحيح » ، او بعد تفكير « مريض » ! فأي شيء يبرر اليأس ما دام لنا ان نفكر كما نشاء ؟

واخل المعقول ليس لغة صينية ولا اعجمية : « ايصال المصلحين الى مراكز التنفيذ والتشريع » امر بسيط ، يستطيع ويجب ان يفهمه كل انسان في البلاد ، وسيفهمه اذا آمنا نحن انه سيفهم !

بالالاعيب يدخلون القوائم ولكنهم لن يدخلوا المجلس الا بأصواتنا !

والنيابة دخول المجلس لا دخول القائمة ...

اي شيء يمنع الذين يؤمنون بهذا الحل ان يبشروا به وان يتصرفوا بموجبه عوضاً عن « نصحنا » بان لا نحاول المستحيل ؟ اين المستحيل في استدعاء ذوي الكفاءة الى المجلس ؟

لا شيء مستحيل ، ما دامت عندنا امكانيات الحياة كلها ، بكل غناها ، بقوة الشباب ، وقوة العقل ، وقوة الايمان ...

نحن لا نكتب من اجل الكتابة وانما نعتمد الكتابة وغير الكتابة وسيلة للوصول الى غايتنا الواحدة الواضحة التي لا اختلاف عليها : « تنظيم بلادنا واستغلال كل ما فيها وفي تاريخها من امكانيات ، وخيرات ، وبركات ، لكي تصبح حياتنا ارفه وارقى ، واكثر « اعطاء » لحياة الانسانية ،

وخدمة الله . »

ما الذي يمنعنا من تحقيق هذا الحلم ، واي شبح هـذا الذي نرسمه بايدينا ونسميه المستحيل ؟

يقولون ان « الوجوه العتيقة » قد هيأت سبيلها ، واعدت عدتها « للزحف » الى « متحفها » في البرلمان ، ولم يبق من الممكن اقصاؤها ... فنجيب اننا لا نعمل من اجل الغـد القريب وحده ، وان مستقبلنا « اطول » بكثير من « دورة » المجلس ... ومع ذلك فلا بأس هذه المرة من انتخـاب « مجلسين » ، اقتراح بسيط : مجلس جديد لخدمة البـلاد وتأمين ما يجب تأمينه ، و « آخر » لاتمـام « المشاريع » التي « بدأتها » المجالس الماضية ...

لا عـدو للاصلاح الا الجهل . علموا النـاس صالحهم ، تجدوهم اشد منكم حماسة للاصلاح ! اما اذا تركتموهم يضعون « القرم » على اكتاف « القرم » لكي يظهر من بعيـد ، فلن يكون عندهم ، ولا عندكم ، جبابرة ...

حاربوا اليائسين قبل ان تحاربوا ثمرات اليـأس ... علموهم فضيلة الايمان بانفسهم ، وبالمصلحين بينهم ، وبمستقبل بلادهم . وبالايمان كل شيء ممكن ! « حبة خردل » من الايمـان تستطيع ان تنقل « جبلاً » من مكان الى مكان ! فهـل يعجز « الجبل المؤمن » عن « زحزحة » حبة اقل رسوخاً من حبة الخردل ؟

المتعلمون فوق الغرابيل وتحتها

لقد آلينا على انفسنا نحن الناخبين ان نغربل وان نحقق هذه المرة ، وان لا نسمح للزؤان ولا للحصى ان يتغلغل بين القمح ، وان كان « انصح » من حبوب القمح ... لان مقاييس التمييز عندنا قد اصبحت ادق ، وهز الغرابيل لن نوقفه قبل ان نفصل نهائياً بين القمح والزؤان !

مالي ولهذه الرمزية !

ان مصلحة بلادنا ، ومستقبل اولادنا ، ودورنا في الحضارة الانسانية مرتبطة بالذين نكلفهم ادارة شؤوننا ، بصلاحيات اوسع مما يظن بعض الذين يحسبون المجلس « صالوناً » للاحاديث ! اين تسن الشرائع ، ومن اين يؤتى بمنفذيها ان كان المجلس « حفلة » خطابية فحسب ؟

على المجلس تتوقف جميع مصالحنا ، وهي غالية علينا ،

وغالية جداً ، فلن نبيعها بمصالح الناس ، وتبييض الوجوه وان كنت احب « الصَدَقَة » والصداقة ... نحن نسمح بتبييض الوجوه امام البلاد ، وامام التاريخ وخالق التاريخ ، لا امام محترفي استثمارنا ، و « الاصدقاء » !

سنقرأ القوائم هذه المرة ، على الاقل ، وسندرسها بصفاء فكر وصفاء نية لا يتركان مجالا للتضليل او باباً للاغواء ... وسيكون لنا رأينا في المرشحين واحداً واحداً ، من مرشحي الشهادات الطويلة الى مرشحي الابتسامات العريضة ، ومن مرشحي الارستقراطية الخرفيـة الى مرشحي استثمارنا ، الى مرشحي حجارة القداحة ومسامير الاحذية ...

وسنعلن بعد ذلك مرشحينـا ، لا تحديـاً ، بل رحمة بالبلاد ... سنعلن اولئك الذين رشحنـاهم عن الاخلاص والثقـافة والموهبة ، لنضمن انهم « يريدون » ان يعملوا ، و « يعرفون » ماذا يعملون ، و « يستطيعون » العمل .

على فهمنا تتوقف جميع مصالحنا ، وهي اغلى من مصلحة

اي فرد كان ... فلن نبيع انفسنا رخيصين ، وان نبدل الحياة التي منحتنا اياها السماء ، والمستقبل الذي نعلق عليه كل الآمال ، والرسالة التي علينا ، وباستطاعتنا ان نؤديها للمدنية الانسانية ، لن نبدل ذلك برغبة زيد من البشر في التربع على كرسي يؤمن له دوام الجهل عند جماعة يستثمرها باسم ذلك الجهل ، او دوام الرفعة في اعين الذين يستغلهم باسم انحطاطهم ورفعته ، او دوام العطف والاعجاب عند قوم يتاجر بجهلهم له واعجابهم بزاياه ...

فالرفعة والانحطاط نغمة نكرهها ، لا نريد ان نطيل التحدث فيها ، لاننا لا نرى فضلا لانسان على انسان الا بالمعرفة ...

واما العطف على المرشحين « الخفيفي » الدم فلا ندخله ، على حلاوته ، في باب العمل الرصين ! ولو كان خفة الدم ، والاعجاب بالاناقة ، مجال لانتقاذ البلاد لانتخبنا مجلسنا كله من كواكب « هوليوود » ومن جميلات بلادنا الكثيرات .

انا لا اهاجم الدماثة ونبل الاخلاق وخفة الروح ، وهي من النعم الحلوة على وجه الارض ، ومن اعذب المواهب ، ولكنني اراها وحدها لا تكفي لتجعل من المرء نائباً عن بلاده في دور الانقاذ . اما اذا اجتمعت هذه المزايا الى الرجولة والثقافة والاخلاص ، فذلك يكفي ليجعل من المرء نائباً واكثر من نائب ...

وأما استغلال الجهل بادعاء العلم فأمور كانت تجوز على البلاد منذ سنوات ... اما اليوم ، وقد « كبر » الفهم عندنا ، وبلغ « سن الرشد » ، فلا نضوج الشيخوخة يغرنا ، ولا « الشهادات الطويلة » عند الشباب !

كثيرون سيرشحون انفسهم باسم الشهادات وباسم العلم ، فهل يرضى العلم ان نتركهم دون غربلة ؟ لذلك اعود الى وعد قديم ، فأحدث عن « العلم الناقص » عند بعض الشباب الذين يحملون شهادات تشجعهم بطولها على ادعاء المعرفة ، وتغنيهم بتذكاراتها عن كل تفكير ... فيتصرفون باسمها بما

يهون عنده الجهل ... أقول « يهون » لان الجهل « المألوف » لا « يكتب » ولا « يخطب » ، لا « يضلل » ولا « يستغل » ...

أما هؤلاء فيفرضون على البلاد كتلاً لا المنطق يقنعها ولا الواقع يردعها ، لانها تعلمت ان تباهي بفضيلة « التصلب » للمبدأ ، قبل ان تتعلم فضيلة « فهم » المبدأ ... وتعصبت للجهل قبل ان تخاص للمعرفة ، فجرّت علينا ، وعلى البلاد — سامحها الله ! — اصعب المشاكل واخطرها ، من اجل ذلك الذي « لقبناه » بالعلم ، وانتخبنا على اسمه الكثيرين ، وصفقنا للكثيرين ، واضطهدنا باسمه الكثيرين .

مدارسنا لم تكن في اكثر الاحيان ذلك المحك الثقافي الصحيح ؛ فبرامجها استهدفت في الغالب تعليمنا دون تثقيفنا ، وعنصر الكفاءة العقلية فيها هان عند عنصر الوقت والمال ، ورحلاتنا الثقافية الى الغرب كثيراً ما شابهت رحلة الهر بالجراب ... وحياتنا ، واختبارات حياتنا ، افقر من ان

تعلم او تهذب اياً كان ... وكرسنا لدرس « وسائل » الدرس وقتاً اضاع علينا ، في اكثر الاحيان ، غاية الدرس ؛ فاصبح عندنا ، من نتيجة كل ذلك ، نوع جديد من العلماء هم « العلماء الاميون » ، يعرفون « اللغة » ويجهلون « المعرفة » ! ... يمارسون « صنعة » الطب ، و « صنعة » المحاماة ، و « صنعة » الفن ! ولكنهم غريبون عن الثقافة ... فالثقافة خلاصة المعرفة خلال الاجيال ، مجتمعة حول اختصاص عميق في حقل نشاط الفكر البشري ، متجسدة كلها في حياة انسان ... فهل عندنا كثيرون فوق الغربال ؟

زار احدهم ، مع صديق له ، الدكتور فانديك ، فقدم صديقه بقوله : العالم العلامة ، الاستاذ الكبير فلان ، فحنا الدكتور رأسه احتراماً ، ثم سأل عن اختصاص حضرة الاستاذ : اهو الفلسفة ام اللاهوت ؟ فقال : لا . الجغرافيا ام التاريخ ؟ لا ! الطبيعيات ام الرياضيات ؟ علم الفلك ؟ علم طبقات

الارض ؟ علم ... لا يا دكتور ، هو استاذ في اللغة ، في الصرف والنحو والمعاني والبيان ... فابتسم الدكتور فانديك وقال : « يعني ان حضرة العالم يستطيع ان يقرأ ويكتب بدون غلط ! »

وما نقوله عن اللغة يصح عن تطبيب الجسم ، وتطبيق القانون ، كما يصح عن التصوير وعن سائر الفنون ! ... الثقافة قبل « صنعة » العلم و « صنعة » الفن ! و « الانسان » قبل « الآلة البشرية » ...

اين المحامي الذي يستطيع ان يردد ما قاله زميله الفرنسي على فراش موته : « احمد الله انني ما رافعت طيلة حياتي بدعوى باطلة ... » ؟ واين الطبيب الذي تمنى مرة ان يزول المرض عن وجه الارض ؟ واين الصحافي الذي صادر بيده اعداد جريدته لانها حملت باخطأ مرة خبراً كاذبا ، او رأيا فيه « تدجيل » وفيه تضليل ؟

انا لا انكر ان في البلاد نواة صالحة في كل فرع من

تلك الفروع ، ولكن النسبة المئوية لهذه النخبة المثقفة ضئيلة جداً ، واصنام المتعلمين لا تحصى ...

لذلك احذر الناخبين من ان يؤخذوا بـ « العلماء الاميين » الذين كانت معرفتهم الناقصة ، على حد قول غاندي ، « مطعوماً » ضد المعرفة الكاملة ...

هؤلاء يستغلون باسم العلم « جهل الناس لجهلهم » ويدخلون المجالس باسم العلم ايضاً ، فهل نسمح لهم هذه المرة ان يظلوا فوق الغربال ؟ ...

نحن والنواب في يوم الحساب

في هذا اليوم ، ونحن نجتاز ازمة اختيار الصالحين من رجالنا ، الذين يستطيعون ايقاظ البلاد وتنظيمها ، يجب علينا ان ندرك النتائج المرتبطة بهذه المسؤولية الكبرى ، وان نخلص النيات ، وان نكون جريئين ...

على ضمائرنا ستلقى تبعات العمل الخطير الذي نقوم به اليوم ، من اجل بلادنا ، واجيالها التي بعدنا ، ومن اجل الانسانية ...

والسانحة التي نقبض عليها الآن بايدينا لا تخطر الا مرة كل اربع سنوات ، فان عرفنا كيف نغتنمها استطعنا ان نختار للبلاد المصلحين الحقيقيين الذين ينقذونها من مختلف المحن وشتى الامراض ، ويسيرون بها مع موكب الحضارة ، كنا جديرين بنعمة الحياة !

واذا افلتت من انامانا ، فيا ضيعة الحياة فينا ، الى ان تعود السانحة ، وان تعود قبل سنوات طوال قد نرجع خلالها اربعة اجيال واربعين جيلا الى الوراء ، لان التهور كالصخر المنقلب عن جبل لا ضابط له ولا حدود !

كيف نتعامى عن الواقع القريب وهو ، بظلامه ، اوضح من نور الشمس !... ولمصلحة اي انسان نتجاهل مصالحنا نحن الناخبين ؟

ماذا نتوقع من بعض وجوه الامس ؟ ماذا نتوقع منها على جدة وعودها ، وعلى حلاوتها ، وعلى اتقان تمثيلها دور الاخلاص ؟ ماذا نتوقع منها وقد هللنا لها بالامس وكبرنا ، وحملناها بين الجفون وفوق الاكف عن حب لا عن غضاضة ، واكباراً لا تذللاً .

وانتظرنا ثم انتظرنا وما كانت لتنضج طبخة البحص ... سنوات على سنوات قضيناها في التوقع ، والامل ، والانتظار ، فما حققت للبلاد اصلاحاً ولا شيئاً يقرب من الاصلاح ! ...

بأي لسان تخاطب تلك الوجوه مساكين هذه البلاد ، سكانها ؟ ... بأي لسان تخاطب النساء ، والاطفال ؟ وحقول التربية لا تزال شائكة ، والنظم الاجتماعية ما برحت عرجاء ...

بأي لسان تخاطب شباب هذه البلاد وقد ضاقت امامهم الدنيا ، واظلمت آفاقها في عيونهم فلا يستطيعون ان يفكروا الا بحاضر الوظيفة ومستقبل الهجرة ، وكلاهما قاس وعقوق ؟

بأي لسان تخاطب الشيوخ وما فكرت بهم ، ولا اعترفت بجرمة مصالحهم ، الا في موسم الانتخابات ، يوم اصبح الواحد منهم يساوي ورقة في صندوق ؟

ماذا فعلت مجالسنا الماضية ، لتأمين حياة الاطفال وحراستهم وتربيتهم بما يعود بالطمأنينة والخير عليهم ، وعلى الامهات الراقيات وبالتالي على البلاد ؟

ماذا فعلت من اجل الشباب اليائسين ، الذين كادوا ، على حبهم للبلاد ، ان يكفروا بالبلاد ؟ اي مشاريع انشأت

لهم ، وبأية وسيلة حببتهم بالارض ، او شجعتهم على العمل ، او وجهتهم صوب الثقافة العميقة ، او فتشت عن مواهبهم وهي الكنز الاكبر لهم وللبلاد ؟

ماذا فعلت من اجل الشيوخ الذين كلما تقدموا سنة في العمر زاد رعبهم من شبح العوز والذل والانعزال ، يوم لا يبقى باستطاعتهم ان يقوموا بعمل يؤمن لهم حياتهم والكرامة ؟

لي ولكم تجري هذه الانتخابات ، ومن اجلي ومن اجلكم ، فلماذا لا يكون كل واحد منا صريحاً وجريئاً مع نفسه ومع نائبه ؟ لماذا لا يكون رجلاً عند المطالبة بالحق الاكبر والحق الوحيد الذي له على الارض ، حقه بالحياة كانسان في القرن العشرين ؟...

لماذا لا نسأل كل واحد من اولئك الذين اخترناهم ، وضحينا من اجلهم مرة واكثر من مرة حتى جعلناهم في طليعة المسؤولين ، عن شؤون الحياة العامة ؟ ...

لماذا لا نطالبهم بتقديم البيانات الملموسة عن كل عمل قاموا

به من اجلنا ايام كانوا في المجلس ، وقبل ان يدخلوه ، وبعد ان يتركوه ، وعن كل استقالة قدموها لنا ايام اصطدموا مع الزملاء اللاتعاونيين ؟...

لماذا نهاود ونمو في الامور التي ترتبط بها حياتنا ، وحياة الاجيال المقبلة ، ودورنا في الحضارة ؟...

بماذا يعوض علينا اولئك يوم نموت نحن ، ويموتون ، وتفنى البلاد ؟

متى تستيقظ انسانيتنا فينا ، فنضبط كل عمل من اعمالنا ، بما فيه الانتخابات والنيابات ، بحبل المسؤولية المجدول من خيوط العقل والقلب والضمير ؟

متى يصبح باستطاعتنا ان نفكر عن حكمة ، وان نحب بسخاء ، وان نكون دائماً مخلصين ؟...

النائب في البلاد التي تجتاز دور التكوين مسؤول عن التعديل والتبديل والانشاء ، مسؤول عن الخلق والتنظيم ، مسؤول عن كل اصلاح وعن كل شيء ، لا عن مجرد ابقاء

كل شيء على حاله .

لا يكفي في مثل هذه البلاد ان يكون النائب من اولئك الذين لا ينفعون ولا يضرون ، ويوم الحساب يتقدمون بـ « فواتير » اخلاصهم وسلامة ضمائرهم كأنهم اعضاء في جمعية الاخوية او رابطة الاخلاق الصالحة ...

مجلس النواب حقل للعمل الايجابي تتوقف عليه حياة البلاد ومستقبلها ، والتاريخ سجلّ لاعمال العباقرة في خدمة بلادهم والانسانية ، فلماذا نحسب المجلس « حديقة للاطفال » والتاريخ « دفتراً » للسلوك ؟

من قال ان المجرم وحده يُقصى عن النيابة ؟ قد يكون المرء من اطيب الناس قلباً ولكننا نقصيه لانه لا يعرف ولا يستطيع ان يدفع عنا الاذى .

وما الفرق عندنا ، نحن البشر ، بين من يسيء ومن يحافظ على الاساءة ؟ نحن لا نحاسب الا على الاعمال والنتائج ، وان يكن لاخلاص النيات حساب عند الله .

لست احمل الحقد على احد ولا اسمح لقلبي ان يعرف الا المحبة ؛ ولكنني ارى ، كما يرى جميع الناس ، ان كل شيء في البلاد ، من ابسط المظاهر الى اعمق الخفايا ، يحتاج الى الاصلاح . وارى اننا اعطينا المسؤولين عن الاصلاح فرصة كافية في الماضي فما حققوا شيئا ، ولا اقتربوا من التحقيق ، ولا حاولوه ...

لذلك بت اقول للناس : آن لنا ان نفكر على نور المنطق والواقع ، وان نحس بالواجب والتبعات احساساً واعياً عميقاً ، وندرك ادراك الرجال ان اختيار الصالحين في مثل هذا الدور الذي تجتازه البلاد امر بالغ الاثر بعيد المدى ، اكثر مما يتصور اعمق الناس وابعدهم مدى تفكير !... فلا يجوز ان نتصرف به الا على نور العقل والهام الضمير الحي ...

آن لنا ان ندرك خطورة عمل ان لم نحاسب انفسنا عليه ، فسوف يحاسبنا عليه ابناؤنا وابناء ابنائنا ، والتاريخ من بعدهم وآله التاريخ ...

خطاب العرش

ايها النواب المحترمون بنسبة احترامكم لانفسكم وللواجب الاكبر الملقى على عواتقكم ، ان الثقة التي اولاكم اياها الشعب لا تزال ملك الشعب ، وله الحق المطلق في استرجاعها يوم تسيئون الائتمان عليها ، ولن يغفر لكم هذه المرة تخاذلا او تقصيراً .

مصلحة الشعب فوق كل مصلحة . وفي أعناقكم أن لا يموت ، وان يتمتع بارفه وارقى ما تتمتع به شعوب الارض. فخيراته لا تقل عن خيراتها ، وامكانياته ليست دون امكانياتها ، والبركات من عنده توزعت على وجه الارض .

فان يكن في قلب الدنيا الغاضبة اليوم بقية من المحبة ، فأصداء صوت من في الزيتون على هذه الناحية منها ؛ وان كان الناس عليها لا يزالون احياء ، فلأن يداً من هذا

الشاطىء علمتهم سحر استخراج الرغيف من التراب !

وان تكن غربة البحر لم تمنع الناس من تبادل الزيارات للخير وغير الخير ، فمن بعد الخشبة التي عومها اسلاف هذا الشعب وسيروها مسخرين الماء والهواء لربط البر بالبر ، ونشر الخير وحده ، وزرع المدائن البكر هنا وهناك .

وان تراسلوا وسجلوا نتاج الفكر من قول حق ، وقول جميل ، فلأن عقولا وقلوباً من هذه البلاد زودتهم بالحروف الاولى ، وباول حق واول جمال ...

بركات وخيرات وامكانيات تؤهلكم ، ايها النواب ، لأن تفاخروا بانكم نواب الارض التي اعطتها ، وتفرض عليكم ان تحافظوا على حياة الشعب المالك والوارث بضمير يرضى ان يتبناه لبنان .

ان الشعب الذي اولاكم هذه الثقة يشعر كما تشعرون ان كل شيء في البلاد يحتاج الى اصلاح عميق ، قصر عنه الاقربون من اسلافكم ، فنحاهم ، وجاء يعهد اليكم

بالتعويض وقد علق عليكم كل رجاء .

فمنكم يأمل درس اراضيه الزراعية ليعرف كل حفنة من تربتها لأي النبت اخصب ، وباية غلة اسخى . ودرس مياه البلاد لكي لا تصل الى البحر قبل ان تبل الريق وتروي الارض ، وقبل ان تحرك بالكهرباء آلات الغزل والنسج وشعشعة الليالي وشتى الآلات .

ومنكم ترجو ان تعم القرى والمدن معرفة بالحياة الصحيحة الكاملة ، فلا امراض ولا موت اطفال ، لا امية ولا قذارة ، لا فساد ولا خمول ، حياة صحيحة نيرة مثمرة ؛ رغد للاطفال والامهات ، وآمال للصبايا والشباب ، وطمأنينة للشيوخ ؛ مدن كالجنات غنى وتنظيما ، وقرى بالعزة كأعشاش النسور .

ومنكم ترجو ان يكون العامل الذي يقطر من جبينه لينعشها ، انسانا ككل انسان ، له جميع حقوق الناس ، من راحة ونور وكرامة .

ومنكم ترجو ان تنتظم اعمال المجتمع على اساس الضمير الانساني والعلم الحديث ، فلا التجارة اقتناص ، ولا الصحافة تضليل ، ولا المهن العلمية تدجيل واستثمار ...

ومنكم ترجو ان لا تبنى طبقات البلاد الا على ارستقراطية المعارف والضمائر والمواهب ، وان لا تكون احزابها الا احزاب الحق ، ولا طوائفها الا طوائف الله .

وان لا تكون مناطقها الا العين واليد والقلب من جسم الانسان الواحد .

كل ذلك ترجوه منكم ، ومن أجل ذلك كله اولتكم تلك الثقة الغالية ؛ فان حققتم لها ما تصبو اليه ، واغدقتم عليها الحياة الهنيئة الراقية البناءة ، فأجركم كبير عندها ، وعند اصدقائها الذين يعاضدونكم في خدمتها ، وعند ربكم في اليوم الاخير .

وان قصرتم ، عن تقاعس او جهل او خيانة ، فالويل لها ولكم يوم تشترون بتلك الثقة سخط الحضارة وتبكيت

الضمير ...

من ربح العالم كله وخسر نفسه فهو فاشل ؛ فكيف بكم ان خسرتم انفسكم وبلادكم والعالم كله ؟

رأس بيروت ، ايار – حزيران ١٩٤٣ .

تعليق

العوامل الانتخابية في لبنان

أخي رشدي ،

اما الآن ، وقد فرغت من حملتك بمناسبة الانتخابات في سبيل « آمـال يجب ان تتجسد » ، فحقي عليك ، بعد ان فسحت لك المجال فلم اعترضك بكلمة ، ان تفتح صـدرك لبعض ما احب ان اقوله لك تعليقاً على تلك الحملة النبيـلة التي ختمتها بترشيح نفسك للنيابة ، منتقلا من حقل النظريات الى حقل العمليات .

ولقد كانت كلمتي اليك واحـدة ، حتى عرضت مسألة الترشيح فصارت كلمتين . امر يجب ان احمد الله عليه لان الكلمة الثانية كانت بنفسي وكنت ابحث بين مئات المرشحين عمن اوجهها اليه حتى جئت انت ، فلم يبق مجال للتفضيل .

اما الكلمة الاولى فهي التأييد لك . هي الهتـاف من القلب ، والتصفيق من القلب لك ولامثالك من الشبان الواعين المؤمنين ، الغاضبينها غضبة كرامة على الذل ، وعلم عـلى

الجهل ، واخلاص على الرياء ، وخير على الشر . ألا حبذا هذه الغضبة ! وبورك في زبدها حتى يغرق كل ذل وكل جهل وكل رياء وكل شر تحت هذه السماء !

ولكن هذه الغضبة ساذجة بعض الشيء . لقد بينت للناس مرة بعد مرة ، وتجاوزت فأشرت باليد وسميت الصالح من النواب والطالح . قلت للناس وكررت : غبي كذاب هذا ، لا يهمه الا مصلحته فلا تنتخبوه لئلا يبيعكم بها . وهذا نبيل القصد ، مثقف ، منتج للخير ، فهذا انتخبوه ! وفتحت عيونهم على حقوقهم وواجباتهم ، والقيت أحسن الامثولات في وظيفة الناخب والنائب ، ووصفت الحالة التي تردت اليها البلاد وصفاً مؤثراً فاجعاً لانه صحيح ، ورسمت المستقبل الذي يجب ان تنهد له رسماً اخاذاً رائعاً ، لانه هكذا كان ماضيها ...

كل ذلك جميل لا اعتراض ولا غبار عليه ، ولقد قاله ورده قبلك غير واحد في هذه البلاد ، وان لم يصلوا فيه جميعاً الى بلاغتك ولم يرتفعوا الى سمو قلبك وطهارة افقك . ولكن اتظن ان نتيجة ما قلت ستختلف عن نتيجة ما قالوا

هم واعادوا ؟

كنت اتحدث في هـذا الشأن مع الاستاذ يوسف السودا — وانت تعرف السودا من هو واي مرتبة يحـتل بين الذين سبقوك الى القول والى العمل — فقال : ان المشكلة في هذه البلاد لم تبقَ مشكلة تفهيم وانما هي مشكلة تنفيذ .

اجل ، المشكلة هي مشكلة تنفيـذ . ولكني اسمح لنفسي ان اخالف السودا فافسر الامر على غير الوجـه الذي يميل من طبعه ان يفسره عليه . لا يكفي ان نقول للناس : انتخبوا فلاناً ولا تنتخبوا فلاناً ، ولا يكفي ان يعرف الناس ان فلاناً اصلح من فلان لكي ينتخبوه . النـاس محتاجون — حتى في ظل ارحب الديموقراطيات صـدراً واسماها معنى — الى من يقودهم بيدهم الى انتخاب فلان دون فلان . اقول « يقودهم بيدهم » وليكن مفهوماً ما اريده بقولي هذا . فانا ابعد ما يكون عن بعض المبادىء السياسية التي لهـا — ويا للاسف ! — انصار في هذه البلاد طيبو النية ولكنهم اغبياء عن حاجات البلاد المنبثقة من تاريخها ومركزها الجغرافي وبنائها الاجتماعي ورسالتها في المحيط الذي هي واقعة فيـه ... انا اقول بالديموقراطية ، بالحيـاة التمثيلية الصحيحة ، بالشورى .

ولكن لكل ذلك – ككل شيء في الدنيا – طرقاً واصولا وضوابط وشروطاً ، ان لم تتوافر للديموقراطية لم تكن ديموقراطية ، أو للحياة التمثيلية فسدت هذه الحياة ، أو للشورى لم تستحق من الشورى اسمها وانقلبت في اكثر الاحيان الى ضدها .

في بلادنا عوامل انتخابية عديدة ، مختلفة ، تتضافر على ايصال من وصلوا ولا يزالون يصلون الى كراسي النيابة .

هذه العوامل هي الفاسدة . عوامل منا ، وعوامل غريبة عنا . أأسميها لك ؟ ولكن المجال يضيق – واخشى ان يتحرج – اذا جئت اعددها واحداً واحداً واشرحها بالتفصيل . حسبي الاشارة الى بعضها . هنالك العوامل الطائفية وما يرافقها في الصعيد القانوني والصعيد الشعبي من سموم ومهالك . تذكر بيانات المرشحين : (نزولا عند رغبة المقام الديني الفلاني .) وهنالك العوامل الاقطاعية : (نحن عبيد هذا البيت سواء كان فلان حيا أم لم يكن .) وهنالك العوامل العائلية التي تريد ان تحتكر النفوذ وتورثه : (انا اضع ثقتي بابني فلان وانا على يقين انه سينهج نهج ابيه في خدمة الوطن .) وهنالك عوامل السمسرة في سوق النفوذ المحلي والمتاجرة بسياسة الضيعة

وتعقيب المعاملات في الدوائر : (انتخبوني اعين لكم النواطير واعزل المخاتير .) كم من النواب لا يملكون من رأسمال النيابة الا هذا ! وهنالك عوامل المصالح والمآرب النفعية الكبرى المتجسمة في كتل لها مكانتها « المحترمة » وكلمتها في الامور العامة . ماذا اقول ؟ بل اصبحت الكل في الكل في البلاد ، كل شيء منها وكل شيء لها ، وكل شيء يجب ان يعود في النهاية اليها . كتل تختلف وتأتلف ، وتأتلف ثم تختلف ، ولكنها رابحة دائماً ، والخاسر الشعب في اي حال . (ألم تسمع بنغمة الائتلاف الاخيرة بين القائمتين « الرئيسيتين » ؟) عوامل ، عوامل ، وكلها نماذج حية لامور تجري الآن أمامنا ، يتناقلها الناس بافواههم ، ليس فيها اي غرابة ، وتنشرها الصحف وتتمنى لاصحابها النجاح ! وهنالك عوامل من نوع آخر : (انا مرشح الدولة الفلانية ...) وهذا حديث طويل ، يخجل من جهة ، ومغضب من جهة اخرى ... ولكننا الآن في باب معالجة شؤوننا ومداواة امراضنا ، فحسبي اذن الجهة الاولى . لقد انحط بنا الدهر الى اسفل الدركات حتى امسينا نتقدم من الشعب — الشعب الذي ندعي الوصول الى النيابة للدفاع عن حقوقه ومصالحه

وكرامته وسيادته — أمسينا نتقدم منه بمنهاج : « نحن مرشحو الدول ... ! » ليس هذا فقط ، ويا ليت ! بل لقد القى الدهر في روع الشعب ان اصحاب هذا المنهاج هم وحدهم الفائزون — كأنهم يفوزون بغير ارادته وبغير علمه ... — وان من العبث ان يمنح اصواته لسواهم ، فيهز كتفيه ويمشي مع القافلة .

هذه العوامل ، وغيرها كثير مما لا اخالك تجهله ، هذه العوامل هي التي صنعت لنا النواب الذين شكوتهم انت ويشكوهم الجميع . الشعب اختارهم : كلا ! ان تلك العوامل قد افسدت ارادته ومسخت اختياره ، وافسدت بالتالي النظام البرلماني نفسه ومسخته ، وانتهت الى تصويره بالصورة التي كرهها الناس واشمأزوا منها .

ربما اعترض معترض فقال : « ولكن النظام التمثيلي مرآة البلاد ، » او « : كما تكونون يولى عليكم ، » فاجيبه : ان بعض تلك العوامل مفتعل ، وبعضها نتيجة نقص فينا وعيب وخلل . ومن قال ان الديموقراطية عبارة عن مرآة جامدة تقتصر مهمتها على عكس الاخيلة ؟ هي قبل كل شيء نظام انشائي تقدمي ، اي قوة واعية ذات ارادة وابتدار .

فالحكومة الديموقراطية لا تكتفي انها صورة عن الشعب ، بل تسعى الى ترقيـة هذا الشعب ، تعـالج الخلل فيه والعيب والنقص ، حتى يعرف حقوقه كلها وواجباته كلهـا ، ويجني بالتالي اقصى ما يستطاع جنيه من الديموقراطية كنظام يستهدف الخير الاكبر للعدد الاكبر .

كل ذلك يشكل مهمة لم تقم الحكومات المتواليـة على البلاد باسم النظام التمثيلي بقليل منها ولا كثير . فكان ان التاريخ سار بنا سيرته : استفحلت تلك العوامل وتفاعلت فيما بينها وتضامنت وتوحدت ، فصارت اخطبوطاً هائلا يضغط بالف يد زرقاء على ما نسميه : ارادة بلاد ، وحرية انتخـابات ، وصوت امة ... وانقلبت مجالس النواب عندنا الى لعبـة مكوك يروح الجماعة ثم يجيء الجماعة انفسهم ، بل شر منهم ، ما دامت العوامل هي هي ، استغفر الله ! بل امتد شرهـا وتعاظم نفوذها .

نصل الآن معاً الى موضوعنا المباشر : كيف تزيل هـذه العوامل ؟ وما هي اليد المرشدة التي يجب ان نمدها الى الشعب ونقوده الى انتخاب الصالحين ؟ وكيف نحصل على الضمانة التي ترغم هؤلاء الصالحين خارج المجلس ان يظلوا صالحين تحت قبته ؟

طريق واحدة ، ويد واحدة ، وضمانة واحدة تتلخص في كلمة لا تحمل اكتشافاً ، كلمة بسيطة جداً اظنها سبقت الى ذهنك : الاحزاب .

فالاحزاب هي التي تتولى تعليم الناس ، لا انت ولا انا ، هي التي تزيل العوامل الفاسدة المفسدة التي سيرت الناس ولا تزال تسيرهم حتى الآن ، هي تخلق العوامل الانتخابية الصحيحة فتجعلها لا طائفية ، ولا عائلية ، ولا نفعية بل حزبية قائمة على صراع مبادىء . الاحزاب ، بكلمة واحدة ، تكوّن الرأي العام الذي يقولون بحق انه غير موجود في هذه البلاد . الاحزاب هي اكثر من ذلك كله ، هي احدى كفتي الميزان للحكم الدستوري : هي من هنا ، والمجلس نفسه من هنا . فاذا لم تكن اختل الميزان ولم يكن هنالك حياة برلمانية تستحق هذا الاسم .

ولكن هذا موضوع كلمتي الثانية اليك .

الاحزاب والحياة البرلمانية

أخي رشدي ،

عندما رشحت نفسك للنيابة ، فور انتهائك من الحملة التي قمت بها في سبيل « المجلس الامثل » ، كان اول شيء خطر ببالي وبال الناس ان نعود الى مقالاتك المقارنة بين الصفات التي طلبتها في النائب وصفاتك . فوجدت كل ما يرضيني ويرضي الناس ويرضي الحق . وجدت فيك الاخلاص ، والمعرفة ، والموهبة ، الاقانيم الثلاثة التي توليت شرحها وبحثت عنها في المرشحين . فانت اذن ، ولا ريب ، من الذين يجب ان يتألف منهم ذلك المجلس الامثل ، بل عنوان من عناوينهم ورسول له فضل الدعوة والجهاد .

ولكن هب ، يا أخي رشدي ، انك وصلت . هب انك تغلبت على العوامل الانتخابية الفاسدة التي تعترضك وتعترض امثالك من الشبان العارين من اي سلاح الا سلاح الخير ، الجاهلين تعاريج المناورات ، المترفعين عن بساط

المساومات ، المتجنبين مغاور المؤامرات ... هب انك تغلبت على كل هذه الصعوبات والعراقيل فدستها بقدميك ، وجزتها مرفوع الرأس ، ناصع الجبين ، ووصلت الى النيابة ، فما عساك فاعلاً يا ترى ؟

لقد قلت للناس في الفصول التي كتبتها : « اعطوني نائباً في المجلس كفلان وانا اضمن لكم سلامة ضمير المجلس باجمعه . واعطوني واحداً كفليتان وأنا أكفل لكم حقوقكم على كل مخلوق في الدنيا ! »

وقلت : « ان القضية قضية افراد ، والتاريخ من اوله الى آخره حكاية افراد . » هذا ما قلته وكررته . فاسمح لي ان اوافقك وان اخالفك : ان الفرد المخلص ، العارف ، الموهوب يصنع الاعاجيب ، اذا شاء ، في المحيط الصالح للاعاجيب . أما اذا كان المحيط غير صالح فهو لا يقدر على صنع شيء ، حتى ولو كان عبقري العباقرة وداهيـة الدهاة . أأذكر لك عباقرة العالم ودهاة الارض ؟ ولكن ، اي حاجة بنا للذهاب الى بعيد ؟ ان الشواهد قريبـة منا ، ماثلة امامنا ، وهي تضرب العيون ، كما يقولون .

الاخلاص ، المعرفة ، الموهبـة الخ . الخ . اتعتقد يا

صاحبي انها لم تتوافر لاحد حتى اليوم من الذين تعاقبوا على مجالسنا منذ عرفنا الحياة الدستورية ، اي منذ نيف وربع قرن ؟ بلى ، لقد كان بينهم في كل مجلس غير واحد ، وبين الذين يريدون العودة غير واحد ، والا فالحكم ليس عليهم ، ليس على النواب ، ليس على المجالس ، وانما هو حكم يشمل البلاد ، فالامة اذن فاسدة على بكرة ابيها ، ولبنان مقضي عليه ! وما الى هذا اخالك تصل في تشاؤمك ، ولو وصلت اليه لما دعوت الى الاصلاح ولما ارتفع لك ولا لامثالك صياح .

القضية قضية افراد . أجل ، ولكن هؤلاء الافراد يجب ان يسلكوا الطريق الذي يمكنهم فيه ان يعملوا . يجب ان يحسنوا اختيار المكان والزمان ، وان يعملوا عندما يعملون حسب اصول العمل . كثيرون هم الذين سبقوك الى المجلس على الطريق الذي زججت نفسك فيه ، وكانوا يتحلون بمثل ما تتحلى انت من صفات ، فما كاد يستقر بهم المقام ويكتنفهم الجو حتى انقلبوا احد اثنين : اما خرفاناً ، قد ضعفت نفوسهم فمشوا مع القطيع ، وهم الاكثرية الساحقة ، واما حردانين ، وهؤلاء هم الاقلية الضئيلة ، ظلوا يصيحون ويصيحون حتى بحت اصواتهم فسكتوا ووقفوا يتفرجون ... ليس هذا فقط

بل تألبت عليهم تلك الاكثرية وجعلت منهم هزؤاً وسخرية !

ان الذين ضعفوا وخانوا ، والذين حردوا وانسحبوا ، ان الفريقين قد خابا — وخابت فيهما آمال اصدقائهما والبلاد — لسبب واحد : عدم ارتباطهما بقوة منظمة ، واعية ، خارج المجلس ، تسند الضعيف حتى يشتد ، وتمنع خيانة من تحدثه نفسه بالخيانة ، وتتجاوب بين صفوفها غضبات الغاضبين للكرامة ، وصيحات المطالبين بالحقوق ، فتردها لهم اضعافاً ، تهز بها المجلس والحكومة والبلاد من اقصاها الى اقصاها .

هذه القوة المنظمة الواعية خارج المجلس هي الاحزاب ، فني الاحزاب ، والاحزاب وحدها ، ضمانة استمرار « الآدمية » في « الآدمي » الذي ننتخبه . اقول « الآدمية » لان مستوى القيم قد انحط عندنا — ويا للاسف ! — بحيث اصبحنا لا نطمع من حكامنا باكثر منها ، وهيهات ! على حين انها في بلاد النـاس شرط اساسي وامر بديهي يكادون لا يبحثون فيه .

لقد ارجأت السلطات موعد الانتخابات الى اواخر ايلول . ولكن الملاحظ يستطيع الحكم في نتائجها كأنهـا جرت في اوائل تموز . هل تغير شيء اساسي مما كنا نشكوه ؟ كلا .

ولا اراه متغيراً ما دامت الحال معنا على هذا المنوال . وجوه جديدة ؟ لقاحات ؟ مراهم على الجلد ؟ ركائز ؟ كل هذا لا يجدي نفعاً . الشجرة منخورة من جذعها ، المريض في حاجة الى عملية ، البناية مزعزعة من اركانها لانها قائمة على الرمل . وكل من يحاول اقناعنا بـ « انصاف التدابير » فانما يخدعنا ، ويخدع نفسه ، ويخدع التاريخ .

لست الآن في بحث جيل الآباء والعمومة والخؤولة ، هؤلاء الذين يتسلمون مقدرات البلاد منذ ربع قرن ويسوقونها الى الموت والخراب . ان العوامل التي صنعت منهم الاخيلة التي نعرف ونسمع ونرى ونعاني ، كثيرة ، مختلفة ، ذات قوة وجبروت . لا ادري هل كان يكون مصيرنا غير مصيرهم فيما لو جئنا مكانهم وخضعنا لظروفهم . أجل ، لا ادري ولا أحب ان ابحث ، فذلك أمر سيتولاه عني المؤرخون المتتبعون تطورات الامم بعين العلم ، عين ترى خلال السدود ، ولا تخاف المحاذر ... ولكني اقول اننا ، نحن ، غيرهم . جيلنا غير جيلهم ، ثقافتنا غير ثقافتهم ، تجاربنا غير تجاربهم ، افقنا غير افقهم ، مطامحنا غير مطامحهم ، ومسؤولياتنا بالتالي تجاه انفسنا والبلاد والتاريخ غير مسؤولياتهم . فهل نتغافل عن

كل ذلك ؟ ان الابناء اذن شر من الآباء ، وجريمتهم اعظم . ماذا اقول ؟ اننا اذن قد خنا الرسالة التي عهد بها الوطن الينا ، ودفنا الوزنات التي اعطيناها في التراب .

ايها الناس الطيبون ، مرشحين كنتم ام غير مرشحين ، نصارى ام مسلمين ، الى الجبل انتميتم ام الى الساحل ، ومن الشمال كنتم ام من الجنوب ، اليكم جميعاً موجه هذا النداء . انتم جميعاً تفكرون في الشيء ، وتعرفون الشيء . وثقوا ان جميع اهل لبنان من جميع المناطق والاديان يفكرون في الشيء نفسه ، ويعرفون الشيء نفسه . والجميع ينتظرون البادرة ليقوموا والاشارة ليمشوا . ان الوعي قد تم ، والنضوج قد حصل . اجتمعوا في حزب ثالث يكون حزباً لانه حزب لبنان ، ألفوا قائمة ثالثة غايتها الفشل في الانتخابات والفوز بالكرامة ، الانكسار في الصناديق والانتصار بالضمائر ، الخيبة في الكراسي والامل بحياة البلاد .

ان العمارة الضخمة متداعية . كونوا الاسفين الذي يشقها . اذا لم تشقوها اليوم فهي مشقوقة غداً وساقطة لا ريب في سقوطها ، وسيكون عظيماً ، وتكونون عظماء حقاً .

ان بيننا وبين الانتخابات ثلاثة أشهر أو اقل في استطاعتكم ، اذا شئتم ، ان تجعلوها قرناً في تاريخ لبنان .

حزب لبنان

اخي رشدي ،

لو عرضت اليوم مناسبة من المناسبات الكبرى ، اعني لو قضت الظروف باحداث شيء اساسي في سياسة هذه البلاد واحبت السلطات صاحبة الامر ان تأخذ رأي الناس في هذا الشيء : أتوافقون عليه ؟ أترفضونه ؟ بعبارة اخرى : ماذا تريدون ؟ اي حكومة تطلبون ، واي نظام تفضلون ؟ لو عرضت هذه المناسبة اليوم — وقد عرضت مراراً بالامس وستعرض مراراً في الغد — فالى من تتوجه تلك السلطات ؟ وما هي الهيئة او الهيئات صاحبة الصلاحية في التكلم باسم البلاد ؟

أنا لا الوم السلطات ، بقدر ما الوم اهل البلاد انفسهم ، عندما اراها تستشير المقام الديني الفلاني ، والمتنفذ الفلاني او الفلاني من الاقطاعيين اصحاب الاملاك الكبيرة والعقول الصغيرة ، او تجار السياسة ارباب السوابق في النيابات

والوزارات والرئاسات . ولقد سمعتها من غير واحد من رجال السلطات المسؤولين : من تريدون اذن ان نستشير ؟ أنذهب الى كل واحد منكم بمفرده ونستفتيه ؟

وانا ادعو لانشاء الاحزاب لا لسد هـذا النقص فقط ، لا تسهيلاً لمهمة السلطات ، ولا محاربة لنفوذ تلك المقامات وقطعاً لدابر تلك التدخلات ، ولا لايصال صوت الامة صافياً خالياً من الزغل الى آذان اولي الامر ، اجـل ، انا لا ادعو لانشاء الاحزاب من اجل ذلك فقط — وكله ذو خطر — بل اريدها خصوصاً لقلب الآية القائمـة اليوم ، باعطاء المبادرة الى الامة نفسها ، فالامة هي التي يجب ان تقترح ، والامـة هي التي يجب ان تطالب ، والامة هي التي يجب ان تتقدم بقولها : اريد كذا ولا ارضى بكذا . وما لسان الامـة الناطق باسمها ، الصادق في التعبير عن ارادتها ، القوي المتماسك القادر على المجابهة ، الا الاحزاب .

ربما اعترض معترض وقال : « لقد قامت في البـلاد في السنوات العشر الاخـيرة عدة محـاولات لانشاء الاحزاب ، فاخفقت كلها وترك بعضها وراءه اسوأ الآثار . ان الاحزاب لا تعيش في هذه البلاد . »

لست الآن في مجال يسمح لي بتعداد هذه الاحزاب وشرح الاسباب التي ادت الى انحلالها، ولكني استطيع اجمال الحكم عليها كلها بالقول انها اذا كانت قد ماتت فلا عجب في ذلك لانها انما ولدت مسوخاً للموت، ولقد كان العجب كل العجب فيما لو عاشت حتى الآن ونمت واصبح لها شأن. اما ما هو باق منها فلا يغرن أحداً كثرة في اعضائه ولا ضجة في انديته، كلا ولا شارات هناك تلمع او اعلام ترفع، فهو صائر حتماً عاجلا او آجلا الى النهاية التي صارت اليها الاحزاب التي تقدمته، لان الاسس التي بني عليها فاسدة كالأسس التي بنيت عليها تلك.

القضية في انشاء الاحزاب تحت هذه السماء تتلخص، في نظري، في شيئين هما الجوهر وكل ما عداهما العرض. اما الاول فان يكون الحزب مرتكزاً على مبدأ لا على اشخاص، وثانيهما ان يكون هذا المبدأ مستوحى من تاريخ البلاد ومصلحتها. لا ابحث الشرط الاول باعتبار انه بديهي لا حاجة الى الافاضة فيه. واقصر الكلام على الشرط الثاني لانه يشكل الجدار العنيد الذي اصطدمت به كل المحاولات المخلصة التي ظهرت في لبنان لانشاء الاحزاب وارتدت عنه بالخيبة والخسران.

قلت : « مستوحى من تاريخ البلاد ومصلحتها » ولا يتم احد الشقين الا بالآخر . فلبنان لجميع اهله ، لا لطائفة دون طائفة ، وكل حزب يقوم على اساس الطائفية مقضي عليه لانه لا يستهدف مصلحة البلاد بل مصلحة فئة من ابنائها دون فئة — وضد فئة — . ولبنان ذو شخصية تاريخية مستقلة ، هو وطن من الاوطان ، اي ان اللبناني في لبنان ، كالسوري في سوريا ، والعراقي في العراق ، والسعودي في المملكة السعودية سواء بسواء . وكل حزب يقوم في هذه البلاد على غير هذا الاساس لا يمكن ان يعيش لانه يقوم ضد التاريخ والمصلحة ، ويتجاهل امراً له في السياسة الاعتبار الاول : الواقع . والوضع الراهن في لبنان كالاوضاع الراهنة في سائر الاقطار تماماً ، لا يختلف هنا في شيء عنها هناك ، وانما الروح العملي هو الذي يختلف .

يجب ان نكون صريحين ، لقد آن لنا ان نكون صريحين . ان فريقاً من ابناء البلاد — لهم ما لنا فيها — كانوا لا يقولون بلبنان ولا يريدونه وطناً ! هؤلاء قد قلّ عددهم اليوم وتضاءل شأنهم . خمس وعشرون سنة كانت

كافية لاقناعهم . اما من لم يقتنع منهم حتى اليوم ومن لا يزال مصراً فهو احد ثلاثة : الاول مثالي خيالي (وهـذا نحترمه ونحترم رأيه) يعتقد انه يخدم العروبة بجرده ، وجرده يجني عليه وعلى لبنان وعلى العروبة نفسها ، والثاني جاهل ينقاد انقياداً اعمى لعوامل بعيدة عن كل ما نسميه اوطاناً وقوميات (وهذا عنصر سيفتح عينيه اخيراً على النور ويفهم) ، والثالث مستثمر يستعمل الاسماء الكبيرة والنعوت الضخمة عند اللزوم وينساها عند اللزوم ، لمآرب شخصية وغايات نفعية (وهـذا أمره معروف) .

قلت : الجماعة يتضاءل عددهم ويقلّ شأنهم . وهذا بفضل الاختبار ، وخير هذه البلاد وخيرهم هم انفسهم لانهم منهـا وفيها ولها . هذا فلان وفلان وفلان في دست حكومـة اسمها حكومة لبنان ، وهذا فلان وفلان وفلان في ميدان الترشيح لانتخابات المجلس النيابي اللبنـاني ، بعـد ان كانوا يعدون الاشتراك في مثل هذه الامور طعناً على العروبة وتلويثاً لثوبها الذي يلبسون . ان الحوادث قد علمتهم ان الحرد ليس من السياسة في كثير ولا قليل ، وان العمل لاصلاح غرفة في بيت لا يعني انكار سائر الغرف التي يتألف منها ذلك البيت ،

بل قد يكون — بالضد من ذلك — الوسيلة الوحيدة للوصول الى تعمير ذلك البيت كله . ولو ان لبنان توصل قبل اليوم الى ادراك هذه الحقيقة البسيطة وعمل بها لما سبقنا جيراننا في الغرف الاخرى الى ما سبقونا اليه : هم جعلوا لاقطارهم كياناً دولياً ذا احترام ، وقوة ذات صلاحية وابتدار ، ونحن ننظر اليهم بعين الغيرة ، متلهين بتكرار البدايات واجترار النظريات والمناقشات .

ولكن للمسألة وجهها الآخر . ان مقابل النغمة المذكورة اعلاه نغمة ونغمات لا تقل عنها خناً . ان بيننا نحن ايضاً الثلاثة المضرين الذين يسكون لبنان ويعرقلون سيره : عندنا المثالي الخيالي صاحب برج التصوف ومرقد الفترة ، وعندنا الجاهل المنقاد ، وعندنا المتاجر المستغل . ولكن ما قلته عن اولئك اقوله عن هؤلاء . الفريقان أقلية . ان الاكثرية الساحقة هم لبنانيون مخلصون ، يريدون العمل معاً لخيرهم وخير هذا الوطن الذي هو خيرهم جميعاً . ولقد آن للشباب المتحررين ، الواعين ، المؤمنين ، من هنا ومن هناك ، ان يتنادوا ويتحدوا ، ويؤلفوا حزب لبنان .

ان الفاصل بينهم ستار من خيوط العنكبوت . فليقتحموه .

بنفخة واحدة من الصدور الطاهرة يسقط ، ويتلاقى بعد طول البعاد وتصر المسافة أهل باهل واخوان باخوان .

دهشة الفرح لهم ، ودهشة الخيبة لكل عدو ، والمجد للبنان .

بيروت ، تموز ١٩٦٣ .

■

انتهى طبع هذا الكتاب على

مطبعة الكشاف ، بيروت

في ٥ آب ١٩٦٣

من

منشورات دار المكشوف

تحت الطبع :

خواطر ساذج	خليل تقي الدين
في قصور الخلفاء	صلاح الدين المنجد
البرلمان الأمثل	رشدي معلوف
الشعراء الفرسان	بطرس البستاني
الرحالة العرب في القرون الوسطى	قدري قلعجي
نحو الجيش المحترف	شارل دي غول
مواعيد (شعر)	صلاح لبكي
ساعات مع ادباء الغرب	صلاح الدين المنجد
ينبوع الفن (مسرحية)	خليل تقي الدين

مطبعة المكشوف بيروت

COLUMBIA UNIVERSITY
0026812681

1129

BOUND
JUN 27 1957

956.9-M29